الباب الثالث

العمائر المدنية

الفصل الأول

العمارة التجارية

ضمت الأحياء موضوع البحث العديد من المنشآت ذات الصفة التجارية مثل الحوانيت والقياسر والوكالات، عبر عصورها المتعاقبة، ومعظم هذه المنشآت درست معالمها، ولم يتبق منها سوى وصف بعضها ضمن وثائق وقفها مثل: قيسارية بيبرس الجاشنكير، ووكالتى الأمير مصطفى جوربجى القبرصلى، وبعضها لازال يحتفظ ببعض معالمه رغم سوء حالته، مثل وكالة الشرايبى دون أن يكون لها وثيقة وقف بجانب هذه المنشآت، ضمت الأحياء منشآت أخرى لها نفس الصفة درست معالمها، ولم أعثر لها على وثائق وقف تفيد فى بيان تخطيطها وعناصر عمارتها، سبق ذكرها عند الحديث عن تطور العمران.

وفى هذا الفصل ألقى الضوء على المنشآت ذات الصفة التجارية التى لازالت باقية، وكذلك الدارسة والتى تحتفظ بنص وثائقى يصفها ويحدد معالمها.

ويشمل الحديث عن العمارة التجارية الباقية: وكالة الشرايبى أما العمارة الدارسة فتشمل: قيسارية بيبرس الجاشنكير، ووكالتى مصطفى جوربجى القبرصلى.

أولاً: العمائر الباقية

وكالة الشرايبى أثر (٤٦٠):

شيدها الجناب المكرم الخواجا محمد الدادا الشرايبى لصق الحمام وذلك قبل سنة (١١٣٧هـ/ ١٧٢٤م)[1]، وهى لازالت تحتفظ بتخطيطها وواجهتها الأثرية، فضلاً عن طوابقها العلوية التى سكنها الأهالى، وأساؤوا إليها كثيراً.

الوصف المعمارى :

الواجهة الرئيسية : (انظر: ش٤٢) (لوحة٤٨، ٤٩)

تلاصق هذه الواجهة واجهة الحمام، ويتوسطها باب الدخول، وهو من الأبواب المقنطرة المعقودة بعقد نصف دائرى، يبلغ اتساع المدخل (٢,٥٠م)، وارتفاعه (٢,٨٠م) وارتفع الشارع عن منسوبه الأصلى مسافة (٦٠سم) مما يشير إلى أن ارتفاعه كان (٣,٤٠م)، يزدان عقده بزخارف دالية متداخلة، ويحيط به جفت لاعب ينعقد فى ميمات سداسية، يعلوه جفت آخر يشكل مع السابق كوشتى عقد المدخل وهو يشبه السابق فى ميماته يعلوه آخر بنفس الشكل، يعلو ذلك نافذة مستطيلة ارتفاعها (١ م) وعرضها (٨٠سم) عليها أرماح

(١) الجبرتى: عجائب الآثار، جـ١، ص١١٦، ١١٧.

خشبية وعلى جانبيها زخارف منفذة بالحفر عبارة عن وريدات داخل مربعات، وكذلك أشكال نباتية مجردة يعلو النافذة بحر مستطيل يشغل الجانب الأيسر منه زخرفة دائرية مسننة منفذة بالحفر،ويبدو أن هذا البحر قد كان يتضمن بعض الكتابات إلا انها فقدت الآن.

وهذا التكوين المعمارى للمدخل وضع داخل حجر يتوجه عقد موتور ذو مقرنصات، يعلوه دائرة كبيرة محاطة بأربع دوائر يحيط بالمدخل والعقد الموتور جفت لاعب ينعقد فى ميمات سداسية كالتى تعلو عقد المدخل، وهذه الكتلة المعمارية التى يتوسطها عقد المدخل يبلغ ارتفاعها (٩٠ ,٧م) وعرضها (٧٠ ,٤م).

يلى هذا المدخل من جهته اليسرى، جزء من الواجهة يبلغ عرضها (٣٠ ,٤م) وارتفاعها (٣٠ ,٩م). يتخلل هذا الجزء نوافذ حجرات الطابق الثانى للوكالة والمخصص للسكنى[١]، وبعض الزخارف الهندسية والنباتية مثل النجمة السداسية المتداخلة مع أشكال دائرية. وبعض الأشكال المروحية، والنباتية. ورسم للطبر[٢]والعصا بجواره مما يشير إلى بعض الرموز الوظيفية.

ينتهى هذا الجزء من الواجهة بشطف يدل على وجود طريق آخر تشرف عليه الواجهة الأخرى للوكالة (الشمالية الشرقية). ويتضح فى هذا الجزء بعض الحرمدانات التى كانت تحمل واجهات الطوابق العليا، حيث لاتزال بقايا الطوابق العليا ترى من هذه الواجهة.

الوكالة من الداخل : (انظر المسقط الأفقى للطابق الأرضى ش٤٣)

يؤدى المدخل السابق إلى دركاة مستطيلة أولى أبعادها (٨٣ ,١×٦٦ ,٢م) تؤدى إلى دركاة ثانية يغطيها قبو متقاطع (لوحة ٥٠) أبعادها (٥٠ ,٢×٦٦ ,٢م) يقع بها على يسرة الداخل مدخل مستحدث يؤدى إلى أحد حواصل الوكالة المتداخل مع حاصل آخر.

تؤدى الدركاة الثانية إلى صحن الوكالة، وهو صحن مستطيل تقريباً أبعاده (٩×١٠م)، تفتح عليه حواصل الوكالة التى يبلغ عددها تسعة عشر حاصلاً معقودة بعقود مدببة منخفضة مخموسة يتقدمها جميعها مساحات مستطيلة خصصت لعرض بعض السلع التى يضمها الحاصل، والتى كانت عبارة عن بضائع عطرية تخصصت فى بيعها هذه الوكالة،

---

(١) على مبارك: الخطط، جـ٣، ص١٧٠.

(٢) الطبر: الفأس. والطبردار: ممسك الفأس، انظر: حسن الباشا: الفنون الإسلامية والوظائف، جـ٢، ص٧٣٥.

يتقدم حواصل الوكالة من الجهات الأربع بائكة غير معقودة مكونة من صف من الأعمدة عددها ثلاثة مصنوعة من الخشب تحمل سقف الممر الذى يتقدم حجرات الطابق الثانى.

أما الحواصل فقد وزعت بحيث يحتل الجهة الجنوبية الشرقية أربعة حواصل: الأول يؤدى إليه باب معقود بعقد مدبب يقع على يمنة الداخل إليه حاصل صغير أبعاده (١م×٥,١م). أما الحاصل فيبلغ طوله (٦٦,٤×٥,٢م) يغلق عليه مصراع خشبى تأخذ قمته هيئة الاعقد الخاص بمدخل الحاصل يجاور هذا الحاصل الحاصل رقم (٢)، وهو ذو مدخل مدبب يؤدى إلى مساحة أبعادها ٥٠,٤× ٥,٢ يجاوره الحاصل رقم ٣، وهو أيضاً ذو مدخل معقود بعقد مدبب يؤدى إلى مساحة مستطيلة تتقدم الحاصل أبعادها (٦٦,١×١م) تؤدى إلى الحاصل الذى تبلغ أبعاده (٣٣,٣×٣م) يجاوره الحاصل رقم (٤)، وهو أيضاً ذو مدخل معقود بعقد مدبب يؤدى إلى مساحة مستطيلة تتعامد على الحاصل أبعادها (١×٦٦,١م)، والحاصل أبعاده (٦٦,٤×٣م)، أما حواصل الجهة الشمالية الغربية فيبلغ عددها أربعة أيضاً الأول: يؤدى إلى مدخل ذو عقد مدبب وهو ذو مساحة ضيقة تلى المدخل طولها (٦٦,١م)، تتسع بعد ذلك ليصبح الحاصل أبعاده (٦٦,٢×٥,٤م) يجاوره الحاصل الثانى الذى يلى الممر الدائرى ذى الأعمدة الحاملة لسقف الممر الذى يتقدم حجرات الطابق الثانى، وهذا الحاصل مساحته تستدق مما يلى المدخل لمسافة (٣٣,١م) وعرض (٥,٢م) تصبح بعد ذلك (٦٦,٢×٨٣,٢م). يجاور هذا الحاصل سلم يصعد منه إلى مساكن الوكالة، شيد داخل مساحة مستطيلة أبعادها (٣٣,٣×٦٦,٢م) يجاوره الحاصل رقم (٣) وهو حاصل صغير أبعاده (٦٦,١×٢م) تتقدمه مساحة مستطيلة الشكل كالتى تتقدم جميع الحواصل تقريباً مع اختلاف مساحاتها، يجاوره الحاصل رقم (٤) وهو يتشابه معه تقريباً فى المساحة يصل إليه الداخل من خلال ممر الأعمدة الشمالية الشرقية.

وبهذه الجهة أربعة حواصل أيضاً الأول منها مساحته (١٦,٣×١٦,٤م) يليه حاصل آخر (رقم ٢) مساحته (٦٦,٤×١٦,٢م)، يجاوره الحاصل رقم (٣) ومساحته (٨٣,٤×٣٣,٢م)، يجاوره الحاصل رقم (٤) وتبلغ مساحته (٨٣,٤×٣م)، يقابل هذه الحواصل الأربعة سبعة حواصل فى الجهة الجنوبية الغربية: الأول: مساحته (٥,٢×٤م)، والثانى: مساحته (٦٦,٣×١٦,٣م)، والثالث: مساحته (٦٦,٢×٥٠,٤م)، والرابع: مساحته (٥٠,٢×٣٣,٤م)، والخامس: مساحته (٥٠,٢×٣٣,٤م)، أما السادس والرابع

والذى يتوصل إليهما الآن من باب فى الدركاة الثانية فيبلغ مساحة الأول منهما (٣,٦٦ × ٢م) مع ضيق فى عرض الحاصل كلما اتجهنا جهة الجنوب الشرقى، أما السابع: فتبلغ مساحته (٢×٥٠,٣م)، وكان يتم التوصل إليهما من باب فى نهاية ممر الأعمدة بالجهة الجنوبية الغربية يجاور حاصل هذه الجهة رقم (٥).

وقد وزعت هذه الحواصل وفقاً لمساحاتها على مساحة من الأرض تبلغ (٢٥,٨٣×٢٦,٦٦م = ٦٨٩ م٢) ستمائة وتسعة وثمانون متراً مربعاً تقريباً. يؤدى السلم الذى يتوسط الجهة الشمالية الغربية إلى الطابق العلوى والذى يشتمل على غرف للإقامة يتقدمها ممر دائرى يحيط بها فى الجوانب الأربعة. تشتمل هذه الحجرات على منافع ومرافق وحقوق مثل بيوت الخلاء، والمسترقات العلوية التى تؤدى إليها سلالم داخلية كما أن الحجرات التى تطل على الواجهات الخارجية كانت تشرف عليها بنوافذ تبقى منها ثلاث بالواجهة الرئيسية، ربما كانت مغشاة بسواتر خشبية مخروطة وهى فى ذلك تتشابه مع القيسارية التى سيأتى الحديث عنها، وكذلك الحجرات التى ضمتها وكالة الغورى فى الطوابق العلوية.

ويبلغ عدد هذه الحجرات عشرين حجرة تشتمل معظمها على سلالم تؤدى إلى مسترقات علوية تشغل الطابق الثالث استغلت للسكنى. (انظر المسقط الأفقى ش٤٤).

التحليل المعمارى والزخرفى :

اشتملت الوكالة على بعض العناصر التى يعد وجودها استمراراً لتلك العناصر التى تناولها البحث فى الفصول السابقة، مثل: العقد المدبب المنخفض المخموس، والعقد الموتور، أما العقد نصف الدائرى فاقد أشرت إليه أيضاً عند الحديث عن جامع المغربى (المعروف بابن العربى)، وهو هنا أسبق من حيث الظهور فى منشآت الأحياء (موضوع البحث) كذلك تشابهت الوكالة فى تخطيطها ومساكنها العلوية مع مثيلاتها المملوكية. ولم تشذ عنها أللهم إلا فى استعمال الأعمدة الخشبية التى تحمل سقف ممر تفتح عليه أبواب الحجرات وهذا الممر كان له على ما يبدو درابزين خشبى يحمى المار به من السقوط فجأة إلى أسفل، وهذه الأعمدة لا تنتهى بعقود كما هو الحال فى الوكالات المملوكية، وإنما يرتكز عليها مباشرة سقف الممر، فضلاً عن ذلك فإن واجهة الحجرات لا تطل على الصحن مباشرة وإنما تطل على الممر.

أما العناصر الزخرفية، فقد اشتملت واجهة الوكالة على بعض العناصر أشرت إليها سابقاً مثل الزخارف النباتية المنفذة بالحفر داخل دوائر والتى شكلت بهيئة مروحية، بالإضافة إلى ظهور بعض الرموز (الطبر والعصا) على واجهة هذه الوكالة، والتى كانت ترمز فى العصر المملوكى إلى ممسك الفأس والذى كانت مهمته حمل الطبر والفأس حول السلطان عند ركوبه فى المواكب وغيرها لحراسته، كما كان الطبردارية يمشون أما السلطان بأيديهم الأطبار بعد صلاة الجمعة والعيدين، وكان يتم اختيار الطبردارية من بين المماليك السلطانية. وكان أميرهم يسمى أمير الطبر[١].

وظهور هذا الرمز على هذه المنشأة العثمانية يشير إلى وجود هذه الوظيفة فى ذلك العصر، خاصة وأن صاحب الوكالة كان من أكبر الأثرياء فى عصره وكانت حراسته من الأمور الواجبة، غير أن تسجيل أمر هذه الحراسة على واجهة الوكالة يشير كذلك إلى أن الوكالة فى حراسة عدد من الموظفين الطبردارية لحماية التجار بها.

ثانياً: المنشآت الدارسة

١) قيسارية بيبرس الجاشنكير :

المنشئ :

هو السلطان الملك المظفر ركن الدين بيبرس بن عبد الله المنصورى الجاشنكير، ولى الإمارة أيام السطان قلاوون، وصار من أكابر الأمراء فى دولة الملك الأشرف خليل بن قلاوون، وولى وظيفة استادار الملك الناصر محمد بن قلاوون عقب سلطنته، وظل بها فترة، ثم عزل وسجن وأعاده مرة أخرى الملك الناصر محمد عقب عودته إلى السلطنة، ثم تولى السلطة بعد خلع الناصر محمد بن قلاوون لنفسه من السلطنة وذلك يوم السبت ٢٣ شوال من سنة (٧٠٨هـ/ ١٣٠٨م)[٢]. وقد أنشأ السلطان بيبرس خانقاة بالجمالية تعرف بالخانقاة البيبرسية وقف عليها جملة منشآت للصرف منها عليها، ومن هذه المنشآت قيسارية الجوذرية[٣]، التى شيدها له "مجد الدين بن سالم الموقع قبل سلطنته بعام تقريباً"[٤].

---

(١) حسن الباشا: المرجع السابق، ص٧٣٥.

(٢) ابن تغرى بردى: المصدر السابق، جـ٨، ص٢٣٣،٢٣٢.

(٣) السلطان بيبرس الجاشنكير: وثيقة وقف ٢٣/دار الوثائق القومية، سطر ٩٦-١٢٣ وجه.

(٤) المقريزى: الخطط: جـ٢، ص٨٩.

الموقع :

كانت هذه القيسارية تقع بخط الفحامين ودار الأنماط بالقرب من باب الجوذرية، حيث كانت تقع على يمنة السالك منه طالباً دار الأنماط وبين البابين، وعلى يسرة السالك من الأماكن المذكورة طالباً باب الجوذرية والملحيين ودكة الحبسة وغيرها[1]، وقد استمرت تحتل الموقع المذكور حتى شغلت مساحتها – زمن على باشا مبارك – ما عرف بالمشيخة[2]، وهى الآن تمثلها المنشآت الموقعة على الخريطة (ش١٦).

الوصف المعمارى الوثائقى :

اشتملت القيسارية على سبعة أبواب، منها خمسة تؤدى إلى باطن القيسارية:

الأول منها (رقم ١) بالشكل (٤٥)

وقد وصفته الوثيقة بأنه باب كبير بعتبة سفلية من الرخام، ويغلق عليه زوج أبواب كبار يؤدى هذا الباب إلى دهليز مسقف نقياً يؤدى إلى رحبة كبرى تشتمل على رواقين متقابلين مسقفين نقياً محمول سقفهما على أربعة أركان مبنية بالحجر، وأحد عشر عموداً رخاماً وعمود واحد صوان.

بالإضافة إلى اشتمال هذا الجزء على بئر ماء معين مغطى بخرزة من الرخام، وكان يقع على يمنة السالك من الدهليز رواق مسقف نقياً به دور قاعة برسم الضوء (شخشيخة) يؤدى إلى رواق آخر مستطيل مسقف نقياً اشتمل على أربع دور قاعات، من هذا الرواق كان يتوصل إلى الباب الثانى.

الباب الثانى

ويرمز له بالعدد (٢) بالشكل نفسه. وقد وصفته الوثيقة بأنه كان يشتمل على عتبة سفلية من الرخام، ويعلو العتب العلوى شباك من الحديد خصص للإضاءة يؤدى هذا الباب إلى سلم مبنى بالحجر النحيت يؤدى إلى باب يغلق عليه زوج أبواب يدخل منه إلى سلم معقود بالبلاط والجبس، بما حوته من مرافق وحقوق لإقامة الحارس المكلف بحراسة القيسارية.

---

(١) الوثيقة السابقة، سطر ٧٠-٧٢.

(٢) على مبارك: الخطط التوفيقية، جـ٣، ص١٨١.

الباب الثالث

هذا الباب يجاور الباب الثانى، ويرمز له بالعدد (٣) بالشكل السابق وكان من الأبواب المربعة التى يغلق عليها زوج أبوا ب يعلو الباب شباك من الحديد برسم الإضاءة يؤدى هذا الباب إلى سلم مبنى من الحجر النحيت يؤدى إلى باب مربع كان يغلق عليه زوج أبواب يعلوه شباك من الخشب برسم الإضاءة يؤدى هذا الباب إلى سقاية. تشتمل على متبن وحوض لخزن الماء الطاهر، وذلك لسقى وإطعام الدواب الخاصة بتجار القيسارية.

الباب الرابع

ويرمز له بالعدد (٤) بالشكل نفسه، وقد وصفته الوثيقة فذكرت أنه كان يشتمل على عتبة سفلية من الرخام، ويغلق عليه زوج من أبواب من الخشب المصفح بالحديد[١]، يؤدى هذا الباب إلى رواق مستطيل مسقف نقياً به سبع دور قاعات برسم الإضاءة (شخشيخة).

الباب الخامس

ويرمز له بالعدد (٥) بالشكل ذاته، وهذا الباب ذكرت عنه الوثيقة أنه كان يشتمل على عتبة سفلية من الرخام، ويغلق عليه زوج أبواب يؤدى هذا الباب إلى رواق كان له سقف نقى، ويشتمل على ثلاثة دورقاعات برسم الضوء.

الباب السادس

هذا الباب وقع على الشكل المذكور ويرمز له بالعدد (٦)، وقد ذكرته الوثيقة وقالت: إنه كان يشتمل على عتبة سفلية من الصوان، وكان يغلق عليه زوج أبواب، ويؤدى إلى دهليز مسقف نقياً يؤدى إلى سلم يصعد منه إلى باب مربع عليه فردة باب يدخل منه إلى طبقة لطيفة علو الدهليز تشتمل على مرحاض ومرافق وحقوق، خصصت للوكيلة التى كان يقع عليها مسؤولية الإشراف على القيسارية، مما يفسر دور المرأة آنذاك؛ أما باقى السلم فيؤدى إلى باب مربع بغير باب يؤدى إلى دهليز مستطيل سقف غشيماً بوسطه دور قاعة (شخشيخة) برسم الضوء، اشتمل على ثمان بيوت كل بيت اشتمل على إيوان ودورقاعة

---

(١) هذا النوع من الأبواب استعمل فى المنشآت المدنية مثل الوكالات والقياسر والفنادق وغيرها، أما المنشآت الدينية فقد استعملت بها الأبواب بالبرونز والمكتفة بالذهب والفضة. وكذلك البيوت والقصور عن الأبواب المصفحة انظر: طه عمارة: الأبواب المصفحة فى عصر السلطان حسن فى القاهرة، مخطوط رسالة ماجيستير، كلية الآثار ١٩٨١م.

مسقف ذلك نقياً، مصوق حريرياً[1] كذلك اشتمل كل بيت على مسترقة مسقفة غشيماً بكل منها سلم مبنى بالبلاط والجبس، وكذلك مرحاض ومرافق وحقوق، وطاقات وباب ريح[2] يغلق عليها طاقات خرك[3] برسم الضوء تطل على القيسارية باستثناء طبقة واحدة كانت تطل على رأس حارة الجوذرية.

بجانب هذه البيوت الثمانية اشتمل الدهليز على سلم معقود بالبلاط والجبس كان يؤدى إلى خمس طباق متجاورة إحداها مطلة على الجوذرية، والأربع مطلة على القيسارية، اشتملت كل طبقة على إيوان ودور قاعة ذات سقف يتوسط كل منها دور قاعة (شخشيخة) برسم الضوء، ويتصدر الطباق طاقات وباب ريح تطل على القيسارية، كما اشتملت كل طبقة على مسترقة سقفت غشيماً. وكذلك مرحاض ومرافق وحقوق، يتوصل منه أيضاً إلى أربع عشرة طبقة مماثلة.

كما كان السلم الرئيسى يؤدى إلى مجاز أو دهليز ثان مسقف غشيماً يؤدى إلى اثنتى عشر طبقة مطلة على الطريق، اشتملت كل طبقة على إيوان ودور قاعة ومنافع ومرافق، وبصدر كل واحدة طاقات وباب ريح، وشبابيك خرط برسم الضوء، بجانب ذلك كان يتوصل من الدهليز إلى إحدى عشرة طبقة كانت تشتمل كل طبقة على إيوان ودور قاعة سقفت نقياً بصدر كل طبقة طاقات وباب ريح، كما اشتملت كل طبقة على مسترفة بكل منها سلم خشب ناقل يصعد من عليه إلى سطح ذلك، أما المسترفات فكان لكل منها باذاهنج[4] يعلوها.

الباب السابع

يرمز له على الشكل السابق بالعدد (٧). وقد ذكرته الوثيقة ووصفته بأنه مربع كان يغلق عليه زوج أبواب يعلوه شباك حديد برسم الإضاءة. يؤدى هذا الباب إلى سلم معقود بالبلاط يؤدى إلى ست طباق متماثلة، كل ثلاث طباق منها متجاورة وتشتمل كل منها على إيوان ودور قاعة ومسترقة ومطبخ وسلم يصعد من عليه إلى سطح ذلك.

---

(١) انظر: معجم المصطلحات رقم (٢٦).

(٢) انظر: معجم المصطلحات رقم (٣).

(٣) انظر: معجم المصطلحات رقم (١٨).

(٤) انظر: معجم المصطلحات: مصطلح رقم (٧).

داخل القيسارية

تؤدى خمسة أبواب من السابق وصفها إلى داخل القيسارية، التى كانت تشتمل على ست فرجات[1] سقفت نقياً يتوسط سقف كل فرجة دور قاعة (شخشيخة) برسم الضوء بجانب ذلك اشتملت القيسارية من الداخل على مائة وخمس حوانيت كل حانوت كان معقود قبواً يغلق على كل منها زوج أبواب، وبواجهة كل حانوت مصطبة مبلطة ومسبلة بالبياض.

واجهة القيسارية القبلية

اشتملت واجهة القيسارية القبلية على ثمانى حوانيت معقودة قبواً، يغلق على كل منها زوج أبواب، أمام كل واحد منها مصطبة مسبلة الجدر بالبياض مفروشة الأرض بالبلاط[2].

الصفة المعمارية للقيسارية

شيدها الأمير بيبرس قبل ولايته السلطنة على قطعة من الأرض كان مشيداً عليها داراً تعرف بالأنماط اشتراها وما حولها ثم هدمها، وعمر موضعها هذه القيسارية والربع علوها، ونقل إليها تجار قيسارية جهاركس، وقيسارية الفاضل وألزمهم بإخلاء حوانيتهم من القيساريتين وسكناهم بهذه القيسارية، وأكرههم على ذلك، مقابل أجرة لكل حانوت قدرها مائة وعشرين درهماً، فلم يسع التجار إلا استئجار حوانيتها، وصار كثير منهم يقوم بأجرة الحانوت داخل القيسارية البيبرسية دون أن يترك حانوته الذى هو معه بإحدى القيسارتين المذكورتين.

بجانب هؤلاء التجار، نقل الأمير بيبرس إلى الحوانيت التى شيدها بواجهة القيسارية القبلية وعددها ثمانية حوانيت صناع الأخفاف، فعمرت من داخلها وخارجها بالناس فى يومين، ثم خربت بعد أن ترك بيبرس السلطة وظلت هكذا فترة طويلة حتى سكنها صناع الأخفاف، بأجرة مبلغها عشرة دراهم لكل حانوت، وظلت هكذا حتى رآها على مبارك بعد أن تغيرت معالمها وفتح بجانبيها عدة حوانيت لتصنيع البلغ البلدى ونحوها من مراكيب المغاربة[3].

ومما سبق يمكن القول: إن القيسارية كانت عبارة عن بناء قد يكون مستطيلاً أو مربعاً

---

(١) انظر: معجم المصطلحات: مصطلح رقم (١٩).

(٢) المقريزى: الخطط، جـ٢، ص٨٦.

(٣) على مبارك: الخطط التوفيقية، جـ٣، ص١٨١.

يشتمل على عدد من الحوانيت بالداخل والخارج، قد تقل وقد تكثر بحسب المساحة المشيدة فوقها، تخصص هذه الحوانيت لتجارة صنف معين من البضائع، وهى بذلك تتشابه مع الأسواق المعاصرة[١]، وإن كانت تختلف عنها من حيث التخطيط، حيث إن الأسواق كانت تتكون من صفين من الحوانيت على جانبى شارع، أما القيسارية فإن الحوانيت التى كانت تشتمل عليها فإنها كانت ضمن بناء محدد المعالم مثل الخانات – والتى منها نماذج عديدة فى مصر وسوريا[٢]، وكذلك الفنادق والوكالات، وقد عرفت هذه المنشآت منذ أقدم العصور بنفس الإسم، فهى مشتقة من لفظ يونانى يعنى السوق الإمبراطورية، مما يدل على أن الدولة هى الآمرة بتشييدها[٣].

وعرفت هذه القياسر فى العصر الإسلامى حيث تشير المصادر التاريخية إلى العديد منها تعود للعصر الإسلامى الأول، واستمرت هذه المنشآت معروفة فى العصور التالية، ففى العصر المملوكى وجد منها نماذج عديدة فى كل من مصر وحلب ودمشق[٤]، تعاصرها قياسر أخرى عرفت فى تركيا وكانت تخصص لبيع سلعة واحدة مثل الحرير، وغيره من الأقمشة الثمينة، غير أنها تختلف عن القياسر المملوكية فى أسلوب التغطية، فمن خلال الوصف السابق، أمكن الوقوف على أسلوب تغطية قيسارية الأمير بيبرس، وذلك باستعمال الأسقف الخشبية التى يتوسطها شخشيخة للإضاءة والتهوية. أما القياسر العثمانية فقد غطيت بالعديد من القباب، وهى ميزة انفردت بها تلك القياسر عن غيرها فى الأقطار الأخرى الإسلامية[٥].

ويعتبرالوصف الوارد عن قيسارية بيبرس الجاشنكير بوثيقة وقفه، أقدم ما وصل إلينا من نصوص تصف هذا النوع من المنشآت، والتى أمكن بواسطته عمل مسقط أفقى تصورى لها (ش٤٥) يوضح مكوناتها المعمارية حيث تميزت بكبر مساحتها واشتمالها على عدد ضخم

---

(١) أمال العمرى: المنشآت التجارية فى القاهرة فى العصر المملوكى، مخطوط رسالة دكتوراه، ١٩٧٤م، ص١١٧، ١١٨.

(2) Sauvaget (J), Caravanserials Syreins Du Mogen-Age, Ars-Islamica, Vol, VI, Pt,I, 1939, P.P. 48-55.

(٣) آمال العمرى: المرجع السابق، ص١١٩، ١٢٠.

(4) Sims (E), Markets & Caravanserais, Architecture Of The Islamic World, T&H, 1984, P, 107.

(5) Sims (E); Ibid, P, 107.

من الحوانيت بلغ مائة وثلاثة عشر حانوتاً بالداخل والخارج، فضلاً عن الفرجات الست التى خصصت فى الغالب للاستراحة، كما حوت كل طبقة منها مرافق وحقوق لخدمة نزلائها، وذلك فى عدة طوابق متتالية، وهذا النظام هو المعبر عنه بالربع السكنى، الذى قد يخصص لإقامة تجار القيسارية أولسكنى أهلهم من أهل الأحياء موضوع البحث ممن عملوا بالحرف والصناعات أوالتجارة[١].

وهذه القيسارية تختلف فى ذلك عن تلك القيسارية التى تعود للعصر المملوكى والتى تعرف بابن سويد بشارع أمير الجيوش والوارد وصفها ضمن وثيقة وقف نشرتها د/ آمال العمرى، حيث تميزت بصغر مساحتها وقلة حوانيتها[٢].

٢) وكالتا مصطفى جوريجى القبرصلى المنشئ

هو الجناب العالى الأمير[٣] مصطفى جوريجى مستحفظان[٤] مصر فى نهاية القرن السابع عشر الميلادى (١٠٩٤هـ/ ١٦٨٢م) اشتهر بين أهل عصره بالقبرصلى ربما نسبه إلى البلد التى ينتمى إليها (وهى جزيرة قبرص)، وتزوج من السيدة المصونة خديجة خاتون وأنجب منها إبنه إبراهيم جلبى مستحفظان والمصونة كريمة خاتون، ثم تزوج من السيدة المصونة بلقيس بنت عبدالله الجرجية الجنس، وكان له ولإبنه الذى عمل فى سلك العسكريين مستحفظانا عدد غير قليل من الخدم (العبيد) سود وبيض[٥]، ولقد أنشأ هذا الأمير وولده إبراهيم جلبى هاتين الوكالتين المتداخلتين والتى عرفت إحداهما بالصغرى والأخرى بالكبرى، والسبيل الملحق بالوكالة الكبرى، كما شيد سقيفة أعلى هذه المنشآت تمتد من

---

(١) توفيق عبد الجواد: تاريخ العمارة والفنون الإسلامية، دار الكتب، ١٩٧٠م، جـ٣، ص٢٠٣.

(٢) آمال العمرى: المرجع السابق، ص١١٩، ١٢٠.

(٣) محاضر جلسات اللجنة، مجموعة ٢٦ لسنة ١٩٠٩م، ص٩٣، ٩٤.

(٤) هم الإنكشارية، وهو الإسم المحرف لكلمة بنى جرى التركية، أى الجيش الجديد، وقد تولوا حفظ الأمن فى مقر الحكم، وهم مشاة مسلحون بالبنادق، ويشير اسم الأمير مصطفى إلى أنه ولى قيادة هذه الفرقة حيث كانت لهم الكلمة العليا عليهم. انظر: عن ذلك: عبد الوهاب بكر: الدولة العثمانية ومصر فى النصف الثانى من القرن الثامن عشر، دار المعارف ١٩٨٤م، ص٣٤، حاشية (٤).

(٥) مصطفى جوريجى. وثيقة ٢٥٣٢/أوقاف مؤرخة ١٢٨ جمادى الآخرة (١٠٩٦هـ/١٦٨٤م)، سطر ٦، ص٦، سطر ٨، ٩، ١٦، ١٧ من الصفحة نفسها.

السبيل إلى نهاية واجهة الوكالة الكبرى، كذلك شيد ربعين أحدهما من ثمانية عشر بيتاً، والآخر من سبعة عشر بيتاً وذلك بجوار كل وكالة والمشيدة كل منها بالفحامين.

الوصف المعمارى والوثائقى للوكالة الصغرى : (انظر المسقط الأفقى التصورى ش٤٦)

هذه الوكالة ألحق بها السبيل والكتاب وكان يتم النوصل إليها من خلال مدخل خاص بها وبالسبيل بالواجهة القبلية.

وقد أشارت الوثيقة إلى مكونات هذه الوكالة فذكرت أنها كانت تشتمل على سبعة عشر حانوتاً بالواجهة القبلية التى بها المدخل، وثلاثة عشر حانوتاً بالواجهة الغربية التى كان يتوصل إليها من درب الاحتساب (الطريق المؤدى إلى منزل المحروقى إلى مدرسة بيبرس الخياط).

وبالداخل اشتملت على تسعة حواصل سفلية، وإحدة عشرة طبقة علو الحواصل المذكورة، كما اشتملت على بئر ماء معين وحنفية برسم الوضوء[١].

الوكالة الكبرى[٢] : (انظر المسقط نفسه ش٤٦)

لهذه الوكالة مدخل بالواجهة الشرقية، كان مركب عليه نص التأسيس المتضمن للتاريخ والمنشئ وقد أشارت الوثيقة إلى مكونات هذه الوكالة المعمارية فذكرت انها كانت تشتمل على تسعة وثلاثين حاصلاً معقودة بالمون ومفروشة الأرض بالبلاط كان يغلق على كل حاصل منها درفة باب من الخشب النقى، ويعلو هذه الحواصل خمسة وخمسون طبقة مسقفة نقياً مفروشة أرضها بالبلاط مكملة بالمنافع والمرافق والحقوق والشبابيك والطاقات والدرابزين والخشب، بالإضافة إلى اشتمالها على حنفية برسم الوضوء، ومصلاة برسم الصلوات الخمس[٣]، وهذه المصلاة لم تشر الوثيقة إلى موضعها من الوكالة، ولكن من المرجح أنها كانت تتوسط صحن الوكالة لكى يسهل على أهل الوكالتين أداء الصلاة، نظراً لارتباط صحن كل وكالة بنظيره، وتخصيص حنفية للوضوء فى كل وكالة، مما يسهل الوضوء وأداء الصلاة.

وقد أوقف المنشئ بهذه المصلاة ربعة شريفة عدتها ثلاثون جزءاً، خصص لها خزانة

---

(١) الوثيقة ٢٥٣٢/أوقاف، ص٢، سطر ٥-١٢.

(٢) الوثيقة ٢٥٣٢/أوقاف، ص٢، سطر ٤-٥.

(٣) الوثيقة نفسها: ص٢، سطر ٢٢-٢٥.

تحفظ بها داخل المصلاة[1]، بالإضافة إلى مجموعة من الكتب والقواميس وقفها لطلبة العلم بالأزهر الشريف.

التحليل المعمارى

تمثل هاتان الوكالتان استمرار هذا النوع من المنشآت التجارية الذى وجد فى مصر خلال العصر المملوكى، وإن كانت قد اختلفت عنها فى ذلك العصر فى وجود الوكالات المدمجة ببعضها، إحداهما صغرى والأخرى كبرى، يتوصل إلى كل منهما بواسطة مدخل مستقل، وتحوى كل واحدة عدد من الحواصل والغرف العلوية المخصصة لتخزين السلع وإقامة التجار وفقاً لمساحة كل واحدة، وهذا النوع من الوكالات تمثله وكالتا الأمير مصطفى القبرصلى المذكور، بالإضافة إلى اشتمال الوكالة الكبرى على مصلاة لأداء الصلوات الخمس، وهذا العنصر المعمارى لم تشتمل عليه أية وكالة مملوكية، وإن كان قد عرف فى آسيا الصغرى، ويبدو أن جنسية الواقف قد كانت وراء انتقال هذا العنصر المعمارى إلى الوكالات العثمانية فى القاهرة، والتى يبدو أنها عرفت فى قبرص عن طريق تأثرها بالوكالات أو الخانات التركية، ثم نقلها الواقف عندما شيد وكالتيه بالفحامين[2].

ومما سبق يمكن أن نقف على النتائج التالية:

١) ظهر على وكالة الشرايبى رتك الطبر الذى يشير إلى حراسة الوكالة والمنشئ من قبل موظف خاص بهذه المهمة.

٢) ضمت الوكالة من داخلها ممر يتقدم الحواصل السفلية والحجرات العلوية، يحمل سقف الممر أعمدة خشبية يرتكز عليها مباشرة سقف الممر دون ان تنتهى بعقود كما فى الوكالات المملوكية.

٣) واجهة الدور الثانى للوكالة لا تشرف على الصحن، وإنما على الممر الذى يتقدم حجراتها.

٤) اشتملت وكالة مصطفى القبرصلى الكبرى على عنصر المصلاة، وهو عنصر ظهر فى ذلك العصر متأثراً بالخانات العثمانية.

---

(١) الوثيقة نفسها: سطر ٤، ص٣.

(٢) حسن الباشا: المدخل، ص١٥١، وأقطاى أصلانبا: فنون الترك وعمائرهم، ترجمة أحمد عيسى، استانبول ١٩٨٧م، ص١٢٢-١٢٤، تخطيط ٢٨.

٥) تعتبر وكالتا الأمير مصطفى القبرصلى من أولى النماذج للوكالات المدمجة الملحق بإحداها سبيل وكتاب.

٦) اشتمل حى الجوذرية على أقدم تخطيط لقيسارية مملوكية أثبتتها وثيقة وقف الأمير بيبرس الجاشنكير، وأمكن بواسطتها عمل مسقط أفقى تصورى لها، وبذلك يصبح هذا التخطيط أول تخطيط لقيسارية يعود للعصر المملوكى وصل إلينا.

** ** ** **

الفصل الثانى

العمارة الاجتماعية

تبقى داخل الأحياء موضوع البحث عدد من العمائر تتسم بصفتها الاجتماعية، وهذه العمائر بعضها درست بعض معالمه وجدد فى عصور تالية، وبعضها لازال باقياً بحالته التى شيد عليها، والبعض الآخر فى حالة غير جيدة، ومعظم هذه العمائر تعود للعصرين المملوكى والعثمانى، ومن هذه العمائر، حمام بيبرس – حمام الشرايبى – سبيل مصطفى جوريجى – سبيل على بك الدمياطى.

وبجانب هذه العمائر الباقية كان هناك عدد من العمائر ذات الصفة الاجتماعية درست معالمها أشرت إليها عند الحديث عن التطور العمرانى لهذه الأحياء، وعلى ذلك فإن هذا الفصل يتناول بالدراسة الآثار المعمارية ذات الصفة الاجتماعية التى لاتزال باقية، والتى ورد لها وصف داخل الوثائق المعاصرة، ومن هذه الآثار:

١) حمام بيبرس الخياط:

أنشأها الأمير بيبرس الخياط[١] وذلك فى سنة (٩٠٩هـ/ ١٥٠٣م)[٢] بالبندقيين على يسرة السالك إلى سيدى حبيب (الملحيين) أو (ش المنجلة الآن). (انظر الخريطة ش٨)، بجوار داره وفى مواجهة قصر حريمه، على قطعة من الأرض آلت إليه بطريق الاستبدال فى السنة المذكورة.

الوصف المعمارى الوثائقى (انظر المسقط الأفقى التصورى ش٤٧)

كانت هذه الحمام تشتمل على واجهة فتح بها ثلاثة أبواب خصص إثنان منهما للمستوقد والساقية، أما الثالث فقد كان يتوصل منه إلى دهليز مسقف بسقف خشبى يتخلله صرر زخرفية، وغشيت أرضيته بالبلاط، يصل المار داخل هذا الدهليز فى نهايته إلى باب مقنطر يؤدى إلى مسلخ الحمام (قاعة الاستقبال).

---

(١) انظر ترجمة هذا الأمير فى الفصل الثالث من الباب الثانى.

(٢) أشارت إحدى الباحثات إلى أن تاريخ هذه الحمام يعود إلى سنة (٩٥٠هـ/١٥٤٣م) استناداً على نص وثائقى٤٧/٣١٣/دار الوثائق القومية، غير أن ذلك لا يتفق والحقيقة. إذ أن النص الوثائقى يفيد أن تاريخ هذه الحمام يعود إلى سنة (٩٠٩هـ/١٥٠٣م) ومن ثم فإن نسبتها إلى العصر العثمانى لا يقوم على سند قوى، فضلاًعن ذلك فإن هذه الحمام قد درست معالمها. انظر: سعاد محمد حسين: الحمامات فى مصر الإسلامية، مخطوط رسالة الدكتوراة، كلية الآثار١٩٨٣م، ص١٤٨، الوثيقة٤٧/٣١٣، سطر١١٤-١٣٠ وجه.

المسلخ

كان يشتمل على إيوانين متقابلين مسقف كل منهما بسقف خشبى يتوسطه صرر زخرفية، اشتمل الإيوان الذى كان يقع على يمنة الداخل على مقلع لطيف، أما الإيوان الثانى فكان يتصدره حنية معقودة قبواً.

أما الدورقاعة فكان يتوسطها فسقية بها فوار يعلو ذلك درابزين، كذلك اشتملت الدور قاعة على سدلتين متقابلتين بإحداهما شباك، كما ضمت القاعة أربعة أبواب أحدهما باب الدخول يقابله بيت أزيار، والباب الثانى يتوصل منه إلى السطح العالى ومدار الساقية والحاصل وبيت القدور، والباب الثالث يدخل منه إلى دهليز مبلط معقود قبواً بجامات ملونة، أما الباب الرابع فقد ضاع وصفه داخل الوثيقة.

من الباب الثالث المذكور كان المستحم يصل إلى دهليز اشتمل على بابين أحدهما على يمنة الداخل ويؤدى إلى باب، ثم إلى باب ثالث يتوصل منه إلى القصر (سكن الحريم). وإلى دار الأمير بيبرس (قبل أن يهدمها ويعيد بناءها). والباب الثانى كان بصدر الدهليز كان يؤدى إلى دهليز آخر على بسرة الداخل إلى كرسى راحة (خلاء) كما كان يضم الدهليز باباً مربعاً يؤدى إلى بيت أول.

بيت أول

هو ثانى كتلة معمارية فى مكونات الحمام وقد امتاز باشتماله على حوضين أحدهما صغير، والآخر كبير يعلو ذلك جامات زجاج ملون. وفى هذا الجزء ينزع المستحم ملابسه استعداداً لأخذ الحمام، وتمتاز هذه الغرفة بالدفء، وسميت كذلك لأنها أول الغرف الدافئة[1].

ومن هذه الغرفة كان يتوصل عن طريق باب آخر إلى بيت الحرارة.

بيت الحرارة

كان يتوصل إليه من خلال باب فتح فى أحد جوانب "بيت أول" وكان يمتاز بأرضيته المفروشة بالرخام الملون يحيط به دخلات معقودة بجامات زجاج ملون. وكان يقع على يمنة الداخل إليه حوض كبير يعلوه جامات زجاج ملون كما كان يضم خلوة برسم الدواء بها

(1) Lane (E), Amuscaunt Of The Manners & Customs, London, 1886, Vol.II, p. 38.

حوض صغير[1].

يجاور بيت الحرارة بيت الطهر[2]، وكان معقوداً بالجامات الملونة يجاوره حوض كبير يعلوه جامات ملونة، يجاوره خلوتان يعلوهما جامات ملونة، يجاورهما حوض كبير تجاه الداخل لباب غرفة الحرارة يعلوه أيضاً جامات ملونة يجاوره جرن حجر يجاوره حوض كبير يقع على يسرة الداخل بيت الحرارة، ثم يلى ذلك خلوة بصدرها مغطس يصعد إليه من ثلاثة درج كامل جميع ذلك بالجامات الملونة.

وقد خصص الواقف لهذه الحمام ساقية تمدها بالمياه كاملة العدة والآلة والبناء كان يتوصل إليها من أحد البابين التى كانت تضمها الواجهة، أما المستوقد فقد كان يدخل إليه من باب يجاور باب الساقية حيث كان يشتمل على مجموعة من القدور الرصاص خصصت لتسخين المياه، وقد كان من حقوق المستوقد شونة وحاصل لتخزين ما يتعلق بهذه الحمام من أدوات[3].

التحليل المعمارى

اشتملت هذه الحمام – وفقاً لما تذكره الوثيقة- على بعض العناصر المعمارية التى شاعت فى عمائر عصر المماليك الجراكسة، ومنها العقود التى استخدمت فى تغطية جميع وحدات الحمام يتخللها الجامات الزجاجية الملونة، وهذه العقود قد لا تختلف عن العقود المستخدمة فى مدرسة الواقف والمشار إليها فى الفصل الثالث من الباب الثانى.

أما التخطيط الذى كان عليه مسلخ الحمام فقد اتبع فيه نفس التخطيط الذى سارت عليه المدارس فى تلك الفترة، من حيث اشتماله على إيوانين مسقفين بسقوف خشبية، وسدلتين غطيتا بنفس الأسلوب، وهذا الأسلوب هو نفسه أسلوب التغطية فى مدارس تلك

---

(١) ربما خصصت هذه الخلوة لإجراء بعض العمليات الجراحية كالحجامة، أو الختان أو علاج بعض الحالات الأخرى. انظر: الوثيقة ٤٧/٣١٣ سطر ١٢٤ وجه. وبيت الحرارة عبارة عن صحن تعلوه قبة أو غير ذلك، وفى وسطه كتلة مرتفعة من الرخام لجلوس المستحم وتدليكه من قبل المكبساتى، ويحيط بهذا البيت ثلاث أو أربع إيوانات على هيئة متعامدة. والحرارة فى هذا المكان مرتفعة.

انظر: ممدوح حمدى: معدات التجميل بمتحف الفن الإسلامى، القاهرة ١٩٥٩م، ص٣٨.

(٢) يعبر عنه أيضاً بالمغطس وهو يلى بيت الحرارة، وهو مخصص للاغتسال، ويمكن الوصول إليه من إيوانات أو من صحن بيت الحرارة مباشرة، انظر: ممدوح حمدى: المرجع نفسه، ص٣٩.

(٣) الوثيقة السابقة ٤٧/٣١٣، سطر ١٣٠ وجه.

الفترة، أما الدور قاعة: فقد كان يتوسطها فسقية يتوسطها فوارة لتلطيف درجة حرارة الجو للمستحم الجالس بالمسلخ للاستجمام ولتناول وجبة خفيفة من الطعام أو احتساء القهوة والشاى أو تدخين النرجيلة[١] قبل الحمام أو بعده.

المستوقد

من العناصر المعمارية الهامة فى عمارة الحمام، وهو المكان الذى يوقد أسفله لتسخين القدور الرصاص[٢] المملوءة بالمياه التى تزود الحمام بالمياه الساخنة، وقد استغل هذا المكان فى تسوية قدور الفول المدمس[٣]، وقد زود الموقد بحواصل وشون لخزن الوقود اللازم للمستوقد، وكذلك الأدوات التى تستخدم داخل الحمام، كما زود المستوقد أيضاً بساقية تمد القدور بحاجاتها من المياه عادة ما تخرج المياه من البئر لتخزن داخل حاصل مياه يتصل به أنابيب فخارية تجرى على سطح الحمام حتى تتصل بالقدور الرصاصية لتزويدها بالمياه فى حالة نقصانها نتيجة الاستعمال.

٢) حمام الشرايبى (انظر: الخريطة ش٩)

تقع هذه الحمام بسكة الشرايبى بجوار وكالة الشرايبى، وهى حمام كبيرة كانت مخصصة للرجال والنساء.

المنشئ

يشير **Pauty** إلى أن هذه الحمام من إنشاء السلطان الغورى فى سنة (٩٠٦هـ/ ١٥٠١م)، وهو فى قوله هذا ايعتمد على ما ذكره على باشا مبارك بشأن هذه الحمام[٤]. غير أنه بالرجوع إلى وثائق أوقاف الغورى لم أجد داخلها ما يشير إلى انشاؤه حمام فى هذا الموقع[٥]. فضلاً عن ذلك فإن هذه الحمام قد حوت من العناصر المعمارية ما يفيد إرجاعها إلى العصر العثمانى، سواء عن طريق التجديد أو التشييد، ولهذا فإن هذه الحمام تعود إلى العصر العثمانى، يتأكد ذلك من خلال المعلومات الواردة فى خطط على مبارك والذى يشير

---

(١) ممدوح حمدى: المرجع السابق ص٣٣.

(٢) حسن الباشا: مدخل إلى الآثار الإسلامية، ص١٦٥.

(٣) مصطفى نجيب: العمارة العثمانية، مقال بكتاب القاهرة، ص٢٧١.

(٤) على مبارك: الخطط ، جـ٣، ص١٦٤، وانظر:
Pauty (Edmond), Les Hammams Du Caire Le Caire, 1933, P. 54.

(٥) وثيقة وقف ٨٨٢/٨٨٣/وزارة الأوقاف.

إلى قيام التاجر محمد الداده الشرايبى[1] قبل سنة (١١٣٧هـ/ ١٧٢٥م)[2] بتجديدها أثناء إنشائه لوكالته التى تجاورها، وذلك بإحداث تغييرات كثيرة وفقاً لروح العصر العثمانى[3].

وهذه المعلومة التى ساقها على مبارك يفهم منها أن هذه الحمام قد كانت موجودة قبل عصر الشرايبى، وربما تكون من إنشاء الغورى نفسه فى فترة لاحقة للتاريخ الذى سجل فيه منشآته ضمن وثائقه أو تكون لأمير من أمرائه، وظلت هكذا إلى تم إعادة تجديدها تجديداً شاملاً من قبل الحاج الشرايبى التاجر العظيم فى النصف الأول من القرن الثامن عشر الميلادى، ومن ثم فإن الحمام بوضعها الحالى تعود إلى العصر العثمانى.

وقد عرفت هذه الحمام بعد ذلك بحمام النملى نسبة إلى الشيخ النملى الذى كان يسكن بجوارها؛ حيث أشارت إلى ذلك وثيقة وقف تعود للعصر العثمانى[4]، ولازال لهذا الشيخ مسجد يعرف بالنملى يجاور الحمام إلى الآن، وقد كانت هذه الحمام من الحمامات العامرة حيث شاهدها على مبارك عامرة بالرجال والنساء ولها بابان أحدهما كان يجاور خان الحمزاوى الكبير، والآخر من سكة الشرايبى بجوار الوكالة، وقد تعطلت هذه الحمام فترة من الزمن حتى استطاعت هيئة الآثار المصرية إعادة الحمام إلى سابق عهدها. وتم تسجيلها ضمن الآثار الإسلامية الواجب الحفاظ عليها. وقد استطعت الدخول إليها ووصفها وصفاً معمارياً دقيقاً، وعمل مسقط أفقى لها (ش٤٩) كما سيأتى ذكره فى الوصف.

الوصف المعمارى

الواجهة الرئيسية (ش ٤٨) (لوحة ٥١)

لهذه الحمام واجهة رئيسية بالجهة الجنوبية الغربية يبلغ عرضها (١٨م)، وارتفاعها (٩,٦٠م) فتح بها ثلاثة مداخل الأول يؤدى إلى الحمام، والثانى يؤدى إلى السطح العالى والساقية وحاصل المياه والقدور. والثالث يؤدى إلى المستوقد والحاصل والشونة.

المدخل الأول

يبلغ اتساعه (٩٠سم)، وارتفاعه (١٠ ,٢م)، معقود بعقد مدبب يؤطره جفت لاعب

---

(١) عبد الرحمن الجبرتى: المصدر السابق، جـ١، ص١١٦، ١١٧.

(٢) جومار: وصف مدينة القاهرة وقلعة الجبل، ترجمة أيمن فؤاد سيد، الخانجى١٩٨٨م، ص٢٢١، حاشية (٦).

(٣) على مبارك: الخطط، جـ٣، ص١٦٤.

(٤) وثيقة وقف ٩٠٢/الأوقاف باسم محمد المحروقى، سطر ١٧، مؤرخة بسنة (١٢٤١هـ/١٨٢٥م).

يعلوه مساحة مستطيلة يعلوها شباك صغير (٨٠سم×٦٠سم) يعلوه عقد موتور محدد من أعلى بجفت لاعب، ويبلغ ارتفاع هذا العقد من قمة العقد المدبب إلى نهايته (٣٠,٢م)، ومن ثم فإن كتلة المدخل مجتمعة يبلغ ارتفاعها (٤٠,٤م).

المدخل الثانى

يجاور المدخل الأول وهو من المداخل المربعة، يبلغ ارتفاعه (٥٠,٢م)، وعرضه (٨٠سم) ينتهى بعقد مستقيم من صنجات معشقة، يؤدى هذا المدخل إلى سلم يصعد منه إلى السطح العالى للحمام.

المدخل الثالث : (لوحة ٥١)

يبعد هذا المدخل عن المدخل الثانى مسافة (٦٠,٦م)، وهو من المداخل المقنطرة يبلغ اتساعه (٨٠,١م)، وارتفاعه (١٠,٢م)، وهذا المدخل يؤدى إلى دركاة مستطيلة (٦٠,٢×٢٠,١م) يقع على يسرة الداخل إليها حاصل مستطيل (٢م×٥٠,١م) وبصدرها باب كان يؤدى إلى شونة مربعة تقريباً (٥٠,١×٣٠,١م) منها يصل الداخل إلى المستوقد، أما الداخل إلى الدركاة فكان يقع على يمنته باب يؤدى إلى ممر يصل منه أيضاً إلى المستوقد طوله (٥٠,٥م) وعرضه (١م).

داخل الحمام : (لوحة (٥٢، ٥٣، ٥٤، ٥٥، ٥٦، ٥٧، ٥٨، ٥٩، ٦٠)

يصل المرء إلى داخل الحمام بعد اجتيازه المدخل الأول المذكور، ويمر داخل ممر أو دهليز طوله (٧٠,٨م)وعرضه (٦٠سم) يرتد جهة الغرب مسافة (٥٠,٢م) حيث يصل إلى مسلخ الحمام (قاعة الاستقبال)، حيث يوجد فى هذا الارتداد دخلة جدارية عمقها (٦٠سم) وعرضها (٥٠سم) ربما خصصت لحفظ أدوات الحمام الخاصة بالقهوة وغيرها التى يطلبها المستحم أثناء جلسته بالمسلخ.

أما المسلخ فهو ذو مساحة مربعة طول ضلعها (٦٠,٥م)، محاطة بأربعة أروقة كل رواق يطل على الدور قاعة ببائكة من عقدين يتوسط أرضية الدور قاعة فسقية ذات فوارة. وقد غشيت أرضية الدور قاعة والفسقية بالرخام الملون. أما العقود والأعمدة فهى من الحجر الذى استعمل مشهراً فى بواطن العقود المدببة لكل بائكة لتكوين أشكال هندسية (دالية أو زجزاجية) فتح بالحائط الشمالى الشرقى بابن أحدهما مباشر من الباب الثانى للحمام إلى

الرواق الشمالى الغربى، والآخر يفتح فى الرواق الشمالى الشرقى ولكن بمستوى أقل انخفاضاً من مستوى الأروقة.

كذلك ضم الرواق الشمالى الشرقى سلم يصعد من عليه إلى سطح الحمام حيث مدار الساقية والقدور وحاصل المياه.

وبالجدار الجنوبى الشرقى باب معقود بعقد مدبب اتساعه (٣٠سم) يؤدى إلى دهليز مستطيل طوله (٦٠ ,١م) وعرضه (٦٠سم)، يؤدى إلى دهليز آخر معقود قبواً يتصدره جهة الشمال الشرقى بيتان خلاء (٦٠ ×٦٠سم) لكل منهما على يمنة الداخل إلى هذا الدهليز باب يؤدى إلى دهليز آخر طوله (٥٠ ,٣م) وعرضه (٥٠سم) يؤدى إلى بيت أول.

وهذا البيت مستطيل التخطيط (٣٠ ,٢×٧٠ ,١م)، مغطى بقبو يتوسطه قبة يتخللها جامات زجاجية ملونة، يتصدر الجهة الجنوبية الغربية منه دخلة اتساعها (٩٠سم) وعمقها (٤٠سم)، ربما خصصت كمقلع لطيف.

يؤدى ها المكان إلى بيت الحرارة وهو عبارة عن دور قاعة بتوسطها فسقية ويحيط بها أربعة أواوين، ومغطسين وخلوة واحدة معقودة جميعها بعقود مدببة يتوسطها قباب ضحلة فتح بها جامات زجاجية للإضاءة.

عناصر الحمام المعمارية

اجتمعت داخل هذه الحمام وخارجها عناصر معمارية ميزتها عن الحمام المملوكى السابق وصفها، ومن هذه العناصر: العقد المدبب المخموس المنخفض[١].

المستعمل فى المدخل الرئيسى للحمام والمدخل إلى الدهليز المؤدى إلى وحدات الحمام. وكذا العقود التى تحملها الأروقة، (انظر ش٤٩) ولوحات (٥٣، ٥٤)، وهذا النوع من العقود تميزت به عمارة العصر العثمانى المدنية فنراه فى منزل الكريتلية، والهراوى، والشبشيرى[٢]، وغيرها من دور ذلك العصر ووكالاته كما فى وكالة الشرايبى بالجوذرية، والأسبلة مثل سبيل على بك الدمياطى، كذلك اختلف المسلخ فى ذلك العصر عن المسلخ

---

(١) محمود خليل نايل، محمد أمين عبد القادر: تاريخ فن العمارة، جـ١، ص١٠٦، ١٠٧.

(2) Revault (J), Et Maury (B), Palais Et Maisons Du Caire duVIX au XVIII Siecle (I.F.A.O)1977, Tome, III, P133. Tome 4, PL,5، 24.

فى الحمام المملوكى؛ إذ استبدلت الإيوانات بالأروقة المحيطة[1] بالدور قاعة، فضلاً عن استعمال القباب الضحلة التى تتوسط أقبية طولية لتسقيف وحدات الحمام المختلفة.

تشغيل الحمام

يعتمد تشغيل الحمام على الساقية والمستوقد وقدور المياه، ويبدأ التشغيل بملئ القدور الرصاصية بالمياه التى تصل إليها من خلال ساقية ترفع المياه من البئر لتصبه فى حاصل مياه غالباً ما يكون مساوى لسمت السطح تتصل بهذا الحاصل أنابيب فخارية أو رصاصية تسير على سطح الحمام حتى تصل إلى القدور الرصاصية لإمدادها بالمياه الباردة، وفى نفس الوقت تخرج أنابيب فخارية أخرى منها لتحمل المياه الساخنة والدافئة إلى قاعات الحمام (بيت أول) وبيت الحرارة والمغاطس وفسقية بيت الحرارة، وفسقية المسلخ.

وتوقد أسفل هذه القدور النيران، التى كانت مادتها من الخشب وغيره التى تستمر فترة من الزمن محتفظة بحرارتها فيؤدى ذلك إلى غليان المياه التى تسير فى المواسير الفخارية أو الرصاصية المتصلة بالقاعات فيؤدى الاستعمال إلى نقصان المياه فتزودها المواسير القادمة من الساقية مما يؤدى إلى وجود مياه دافئة وأخرى باردة وثالثة ساخنة جداً واللازمة للمستحم فى غرف الحمام المختلفة[2]. وهذا الأسلوب فى تشغيل الحمامات فى ذلك العصر هو نفسه الأسلوب الذى اتبع فى العصور السابقة، ولكنى ذكرته فى هذا الفصل لبقاء الأثر الذى أتحدث عنه حتى وقتنا الحاضر، ومما سبق يتضح أن هذه الحمامات قد أنشئت لتخدم ناحية اجتماعية هامة هى نظافة الأبدان فى الحياة اليومية العادية أو فى المناسبات العائلية المختلفة نظير أجر رمزى يفى وأجور القائمين على خدمة روادها وبقاء منفعتها.

٣) الأسبلة

من نماذج العمائرذات الطابع الاجتماعى أيضاص داخل هذه الأحياء، الأسبلة وقد وصلنا منها عدة منشآت اندثر بعضها وتبقى البعض الآخر، ومن الأمثلة الباقية:

١) سبيل مصطفى جوريجى القبرصلى.

٢) سبيل على بك الدمياطى.

---

(١) مصطفى نجيب: العمارة العثمانية، كتاب القاهرة، تارخها، فنونها، آثارها، ص٢٦٨، وليم لين: المصريون المحدثون شمائلهم وعاداتهم، ترجمة / عدلى طاهر نور، القاهرة ١٩٧٥م، ص٢٩٦، ش٧٠.

(٢) معلومات مستقاة من فحص حمام الشرايبى.

١) سبيل مصطفى جوريجى القبرصلى

الموقع (انظر الخريطة ش٩)

يقع هذا السبيل فى الزاوية الشرقية للوكالة الكبرى عند تقاطع شارع الفحامين مع عطفة الزيت، ومن ثم فإن هذا السبيل ينتمى إلى طرز الأسبلة ذات الشباكين (انظر لوحة ٦١)، أحدهما يطل على شارع الفحامين والآخر على عطفة الزيت.

الوصف المعمارى (انظر لوحات ٦١، ٦٢)، (ش٤٦)

أشارت وثيقة الوقف إلى هذا السبيل على أنه بالواجهة القبلية للوكالة الكبرى، وأسمته صهريجاً يعلوه كتاباً برسم قراءة الأيتام[١].

وهذه التسمية التى أطلقت على السبيل فى ذلك العصر لم تكن تعن المساحة المخصصة لخزن المياه فى تخوم الأرض، وإنما أطلقت على هذه المساحة مع التكوين المعمارى الذى يعلوها والمعروف بالسبيل أو المزملة[٢].

وقد فتح فى هذا السبيل شباكان غشى كل منهما مصبعات حديدية سدت ثلاثة مربعات منها بتشكيل كتابى زخرفى للفظة الجلالة (الله) على مهاد من الفروع النباتية، وذلك ضمن مصبعات الشباك الشرقى كما غضيت أرضيته بالرخام يتخللها أجزاء خردة ملونة، وسقف بسقف خشبى مصنوع صناعة عربية[٣] وشيد فوق هذه المساحة كتاب للأيتام، ووضع على السبيل والوكالة نص تسجيلى يفيد إنشاءه وولده لهم بما نصه:

"أنشأ هذا المكان المبارك الأمير مصطفى جوريجى مستحفظان القبرصلى وولده إبراهيم جلبى فى سنة (١٠٩٤هـ)"[٤]، وكان الدخول إلى السبيل يتم من مدخل يجاور شباك التسبيل الجنوبى الغربى حيث يؤدى إلى دهليز على يسار الداخل يؤدى إلى الكتاب وعلى اليمين حجرة تتقدم حجرة السبيل بها الصهريج وحاصل مياه بها باب فى الضلع الجنوبى الشرقى يؤدى إلى السبيل[٥].

---

(١) الوثيقة السابقة، سطر ٢٦، ٢٧، ص٢.

(٢) محمود الحسينى: الأسبلة العثمانية بمدينة القاهرة(١٥١٧هـ/١٧٩٨م)، نشر مكتبة مدبولى ١٩٨٨م، ص٤٢

(٣) ملف الأثر ٥٥٣/٤٤، خطاب مؤرخ فى ١٩٣٠/١٢/٦ لقسم الأعيان والاستبدال.

(4) Raymond (A), Les Fontains Publques (Sabil) De Caire De L`Epoque Ottomane (Annales Islamologiques) (I.F.A.O) Tome, XV, 1979, P, 257-258.

(٥) محمود الحسينى: المرجع السابق، ص١٨٧.

الإصلاحات

أجريت بعض الإصلاحات داخل هذا السبيل، ومن ذلك سقوط شباك السبيل وإعادة وضعه بمعرفة الأسطى سعد محمود حسن ملاحظ المجارى بالإدارة، وذلك فى سنة (١٩٤٧م)[١].

وقد فقد الكتاب والسقف العربى للسبيل واستبدل بسقف خشبى حديث كما فقدت اللوحة التأسيسية، وأصبح السبيل حانوتاً لتاجر أحذية فى وقتنا الحاضر، ولم يتبق سوى السقيفة فقط التى كانت تحجب خلفها واجهة الكتاب.

٢) سبيل على بك الدمياطى (أثر ١٩٧)

المنشئ

هو على بك الدمياطى ينسب إلى بلدة دمياط، كما يشير إلى ذلك إسمه، ولى وظيفة عسكرية أرجح أنها الصنجقية[٢] والتى عمل بها ابنه من بعده والمسمى عمر بك[٣]، وقد ظل بها حتى انتقلت إلى ابنه سنة (١١٥٧هـ/ ١٧٤٤م)، وظل بعد ذلك ثلاث سنوات، ثم قتل سنة (١١٦٠هـ/ ١٧٤٧م)[٤]، ولم يتبق من مآثر هذا الرجل سوى السبيل الذى شيده بالسكة النبوية (حى المحمودية) سنة (١١٢٢هـ/ ١٧١٠-١٧١١م)[٥]، حسبما ورد باللوحة التأسيسية أعلى الشباك الغربى للسبيل والتى تحتوى على أربعة أسطر تقرأ كالآتى (لوحة ٦٧):

سبيل به الأجر فى الدهر يكتب ... لبانيه حاوى الكمال المهذب

على المقام كذا اسمه ... على لدمياط فى الأصل ينسب

فيا وارد به اشربوا ماؤه ... هنيئاً مريئاً من الشهد أعذب

لمنشئه فادعوا فتاريخه ... عليا سقيت الرحيق المطيب

---

(١) ملف الأثر ٥٥٣/٦٢٨ فى ١٩٤٧/٤/٢٣م.

(٢) الصنجق: تعبير يدل على رتبة تمنح لشخص، ويسمى فى هذه الحالة بك ويمنح مرتباً سنوياً (ساليانه)، وللمزيد: انظر عبد الوهاب بكر:: الدولة العثمانية ومصر فى النصف الثانى من القرن الثامن عشر، ص١٧ حاشية (١).

(٣) الجبرتى: المصدر السابق، جـ١، ص٢٤٢.

(٤) الجبرتى: المصدر السابق، جـ١، ص٢٤٢.

(5) Raymond (A), Op.cit, P, 262.

سنة ١١٢٢هـ بحساب الجمل.

الموقع

يقع هذا الأثر بحى الجوذرية على يسرة المار به طالباً السكة النبوية بدرب سعادة[١] وهو يتبع طراز السبيل ذى الشباكين للتسبيل بالجهة الجنوبية الشرقية والجنوبية الغربية. (انظر لوحات ٦٣، ٦٤، ٦٥).

الوصف المعمارى

أولاً: الواجهات

أ) الواجهة الرئيسية : (انظر ش٥٠) (ولوحة٦٦، ٦٧)

يبلغ عرض هذه الواجهة (١٠,٨٠م)، وارتفاعها (٩,٥٠م) تبدأ الواجهة من الجهة الجنوبية، وتمتد مسافة (٢,٩٠م) حتى كتلة المدخل، وفى هذا الجزء وعلى ارتفاع (٣,٦٠، ٥,٥٠م) توجد نافذتان الأولى مسدسة من الخارج دائرية من الداخل، والثانية مستطيلة أبعادها (٧٠×٩٠سم)عليها مصبعات من أرماح متقاطعة.

يلى هذا الجزء كتلة المدخل وهى كتلة ترتفع مسافة (٦,٤٠م) وعرضها (٢,٦٠م) يتوسط هذه الكتلة باب الدخول، وهو مستطيل التخطيط أبعاده (١,٩٠م)، وعرضه (١م) يعلوه عتب مستقيم يعلوه عقد عاتق يعلوه نافذة تنتهى بصدر مقرنص أبعادها (٨٠×٨٠سم)، وارتفاع المقرنصات فوقها (٥٠سم) فى ثلاثة صفوف يلى ذلك صدر مقرنص يتوج المدخل يتكون من أربعة صفوف من المقرنصات ذات الحنايا المنكسرة، يبلغ ارتفاعها (١,٥٠م) وعرضها (١,٨٠م). يؤطر المدخل جفت لاعب ينعقد فى ميمات سداسية يعلو المدخل نافذة مستطيلة بجفت حجرى يجاور المدخل شباك التسبيل الأول. وهذا الشباك يرتفع عن سطح الأرض بمقدار (٤٠سم)، وهو مستطيل التخطيط أبعاده (٢,٥٠×١,٨٠م) يعلوه عقد مستقيم وعقد عاتق وزخرفة جفتية حول العقدين، وأعلى العقد العاتق تتكون مساحات مربعة ومستطيلة كما تحدد شباك التسبيل بحور مستطيلة، وقد غشيت شبابيك السبيل بمصبعات حديدية عددها ثمانية رماح وإحدى عشرة مخرزة[٢].

---

(1) Pauty (E), Etude Sur De Monuments L`Egypt De Le Periode Ottomne (Dans Comite De Conservation Des Monuments De L`Art, Arabe) ("Comit" XXXVII) 1933-1935. P.322.

(٢) ملف الأثر ١٩٧/١٨٦، كشف جرد السبيل والكتاب مؤرخ فى ١٩٤٨/١٠/٣١.

يعلو شباك التسبيل فى المستوى الثانى واجهة الكتاب الأولى وهى واجهة مفتوحة بعقدين يرتكزان على عمود واحد[1]، والجزء الأسفل منها يغشيه سياج من الخشب الخرط، والعقود من النوع المدبب المنخفض المخموس، والعمود يتبع طراز الأعمدة الكورنثية، وهذه الواجهة يبلغ ارتفاعها (٤,٨٠م) وعرضها (٣,٥٠م) وارتفاع العمود (٢,٥٠م) وارتفاع تاجه (٣٠سم). تنتهى هذه الواجهة فى زاوية البناء الشمالية بعمود مدمج يبين أن الواجهة تنتهى إلى طريق آخر. وهو من طراز الأعمدة الكورنثية يبلغ ارتفاعه (٢,٣٥م).

ب) الواجهة الجنوبية الغربية (البحرية) : (انظر ش٥٠) (ولوحات ٦٣، ٦٤)

يتوسط هذه الواجهة تقريباً شباك التسبيل الثانى وهو شباك مربع تقريباً أبعاده (٢,٢٠×٢م) يعلوه عقد مستقيم زخرف أعلاه ببلاطات خزفية، وحدد العقد بزخرفة جفتية تكون مربعات ومستطيلات على جانبى العقد وفوقه، وعلى جانبى شباك التسبيل يعلو الشباك فى المستوى الثانى النافذة الثانية لحجرة الكتاب الأولى، وهى تشبه النافذة الأولى من حيث الارتفاع والعرض. ونوعية العقود والأعمدة والسياج الخشبى المخروط على الجزء الأسفل من النافذة.

أما شباك التسبيل فيغشيه مصبعات نحاسية مكونة من ثمانية رماح وإحدى عشرة مخرزة[2]. يجاور شباك التسبيل، وفى الجزء العلوى من نهاية الواجهة نافذةمستديرة يطلق عليها "عين الثور" محددة بجفت لاعب ينعقد فى أربع ميمات (ش٥١)، وهذه النافذة كانت تضئ الحجرة التى اختص بها عامل السبيل، والتى كان يعلوها غرفة مماثلة خصصت كغرفة ثانية للكتاب تطل على الطريق بنافذتين مستطيلتين ارتفاع كل منها (٢,٣٠م)، وعرض كل منها (١,١٠م) تجاوران نافذة الحجرة الأولى المعقودة بعقدين مدببين.

الوصف من الداخل

أ) الدور الأرضى (ش٥٢)

يؤدى المدخل السابق وصفه إلى دهليز طولى يجد الداخل إليه على اليمين سلم يؤدى إلى الكتاب، وعلى اليسار باب الدخول إلى السبيل وإلى حجرة العامل (أو المخصصة لحفظ

---

(١) مصنوع من الرخام وهو ذو بدن مثمن، ويختلف عن العمود الذى بالواجهة البحرية فهو اسطوانى.

(٢) ملف الأثر ١٩٧/١٨٦، وكشف جرد السبيل، والكتاب مؤرخ فى ١٩٤٨/١٠/٣١م.

أدوات السبيل) هذا الدهليز طوله (٧,٨٠م) وأكبر عرض له (١,٨٠م) سقف بسقف خشبى.

حجرة السبيل

مربعة التخطيط أبعادها (٤,٧٠×٤,٧٠م) على يمنة الداخل إليها توجد ثلاث دخلات حائطية ربما خصصت لحفظ الكيزان المخصصة للشرب، وعلى يسرة الداخل توجد دخلة كبيرة عرضها (١,٨٠م)، وعمقها (٣٠سم) ربما خصصت للسبيل، فهى تواجه شباك التسبيل، الثانى وتجاور الشباك الأول.

حجرة عامل السبيل (أو أدوات السبيل)

تجاور حجرة السبيل وهى مستطيلة التخطيط يكون عرضها متسعاً جهة مدخلها يستدق كلما اتجهنا للداخل، ويتوسط أرضيتها تقريباً عمود يحمل سقف هذه الحجرة وأبعاد هذه الحجرة (٤,٦٠×٢م، ١,٦٠م) بالداخل.

ب) الدور الأول

يؤدى السلم الذى يوجد على يمنة الداخل من مدخل السبيل إلى الكتاب، وهذا الكتاب يشغل مساحة السبيل والدهليز والحجرة المجاورة للسبيل؛ حيث ضم هذا الدور حجرة المؤدب والتى أقيمت فوق جزء من الدهليز وغرفتين للكتاب تجاور إحداهما الأخرى، وتطل واحدة منهما بنافذتين مستطيلتين على حى المحمودية، والأخرى تطل بنافذة واحدة معقودة بعقدين على هذا الحى وبنافذة أخرى مماثلة على الطريق المؤدى إلىالسكة النبوية.

مما سبق يتبين أن عمارة السبيل تتكون من ثلاثة طوابق: الأول: ويكون بباطن الأرض وهو الصهريج المخصص لخزن المياه، والثانى: وهو السبيل وبه شبابيك التسبيل والسلسبيل، والثالث: يعلوه وهو الكتاب[1].

عناصر السبيل المعمارية والزخرفية

اجتمعت داخل هذا الاسبيل بعض العناصر المعمارية المميزة مثل العقود المدببة المخموسة المنخفضة، والمدخل ذو الصدر المقرنص، والعقود المستقيمة والعاتقة وبعض هذه العناصر تتبعت مراحل تطورها فى الفصول السابقة، والبعض الآخر منها ظهر فى هذا

(١) حسن الباشا: مدخل إلى الآثار الإسلامية، ص١٦٣.

العصر بشكل مختلف عن العصور السابقة مثل العقد المدبب المنخفض، وظهر البعض الآخر منها فى هذا العصر متأثراً بالمحليات مثل المدخل ذو الصدر المقرنص[1]. كذلك مثل على واجهة السبيل الجنوبية الشرقية بعض الوحدات الزخرفية المنحوتة فى الحجر، والتى تمثل أشكال مروحية وأشكال نجمية من عشرة أضلاع يتوسطها صرة مروحية، والبعض منها يتكون من ثمانية عشر ضلعاً غشى جزء كبير منها بزخرفة تشبه السلال المفرغة يتوسطها شكل مروحى، وهذه الأشكال وجدت على بعض عمائر القرن الثامن عشر وذلك بالحفر البارز والغائر وتفريغ بعض هذه الزخارف، كما استمر استعمالها على عمائر القرن التاسع عشر الميلادى.

فقد ظهرت هذه الصرر الزخرفية على سبيل خليل أفندى المقاطعجى بالكعكيين (١٠٤٢هـ/ ١٦٣٢م)، وسبيل عبد الباقى خير الدين بحارة المنجلة (١٠٨٨هـ/ ١٦٧٧م)، وسبيل عارفين بك بالباطنية الذى شيد بعد تشييد على بك لسبيله بنحو ثلاث سنوات (١١٢٥هـ/ ١٧١٣م)، ثم ظهرت على سبيل إبراهيم بك المناسترلى (١١٢٦هـ/ ١٧١٤م)، ثم ظهرت هذه الصرر الزخرفية على واجهة وكالة الشرايبى بالجوذرية التى يعود تاريخ إنشائه إلى ما قبل عام (١١٣٧هـ/ ١٧٢٤م)، وواجهة منزل محمد المحروقى قبل سنة (١٢٤١هـ/ ١٨٢٥م)، ويرتبط بهذه العناصر المعمارية والزخرفية سقفا السبيل والكتاب. ونظراً لصعوبة الدخول إلى السبيل نتيجة غرق أرضيته فى المياه الجوفية فلم أتمكن من مشاهدة هذا العنصر، غير أن ملف هذا الأثر قد أشار إلى أن سقف السبيل مكون من براطيم خشبية تحصر بينها مربوعات كاملة النقش والتذهيب والإزار الذى ترتكز عليه أيضاً.

أما سقف حجرة الكتاب فكان من عروق ولوح، وفى العروق أثر نقوش بالزيت، أما الإزار فهو كامل ومنقوش[2]، وذلك منذ ٢٦/ ٢/ ١٩٤٨م، ونظراً لاستخدام السبيل كمدرسة لتعليم العميان، فإن احتمال تعرض الأثر وسقوفه وعمارته لبعض الخلل أمر وارد

---

(١) ميز بعض العمائر المملوكية البحرية مثل بشتاك، ومقبل الداوودى كما سبق وأسلفت، ويتشابه مع مدخل يوسف الكردى العثمانى الخاص بالسبيل والكتاب بشارع اللبودية. انظر: محمود الحسينى: الأسبلة العثمانية بمدينة القاهرة، ص١٩٩.

(٢) ملف الأثر ١٨٦/١٩٧/كشف جرد السبيل والكتاب ٢٦/١٢/١٩٤٨م.

وقائم[1].

بالإضافة إلى ذلك أشارت أوراق الملف الخاصة بالأثر إلى اشتمال حجرة السبيل على سلسبيل رخامى منقوش بالمعجون الأسود فى رخام أبيض، أى أن زخارفه منفذة بالتنزيل، ودواليب حائطية بدون ضلف مما يشير إلى أن الدخلات الجدارية السابق وصفها قد استعملت كدواليب حائطية لخزن بعض الأدوات التى تخص عامل السبيل، وقد كان يغلق على هذه الحجرة باب من الخشب شغل عربى بسيط، وباب آخر يغلق على الحجرة الشرقية التى تجاور الحجرة الخاصة بالتسبيل ولكنه غير عربى، حيث أطلق عليه كشف الجرد اسم باب أفرنجى[2].

أما استعمال البلاطات الخزفية فى زخرفة العمائر فهو أسلوب شاع استعماله منذ العصر العثمانى، وإن كانت له بدايات فى عمائر العصر المملوكى حيث ظهر يزخرف مئذنة خانقاة بيبرس الجاشنكير، ومئذنة الناصر محمد بالقلعة (٧٣٥هـ/ ٧٣٣٥م)، ثم مئذنة السلطان الغورى (٩١٠هـ/ ١٥١٠م)، والتى لا تزال قائمة، واستمر استعمال البلاطات الخزفية التى تتبع الأساليب الزخرفية والصناعية فى العصر المملوكى[3] سائداً على عمائر العصر العثمانى وذلك حتى النصف الأول من القرن السادس عشر الميلادى، وفى النصف الثانى من القرن نفسه لا نجد فى عمائر القاهرة التى تعود لهذه الفترة أى استخدام للبلاطات الخزفية، واستمر ذلك حتى مطلع القرن السابع عشر الميلادى[4]. حيث استعملت مرة أخرى فى عمائر القرن السابع عشر وما تلاه بأسلوب زخرفى جديد يمثل الزخارف العثمانية التى شاعت على معظم التحف الفنية التى تعود لهذا العصر، وهذه البلاطات المستعملة فى زخرفة عمائر القرن السابع عشر والنصف الأول من القرن الثامن عشر

---

(١) فقد تعرض الأثر قبل عام ١٩٦١م لبعض التصدعات بالواجهة الرئيسية والواجهة البحرية. ملف الأثر ١٩٧/١٦٨، ١٩٦١/٣/١٣م.

(٢) الملف ١٩٧/١٨٦، ١٩٤٨/١٢/٢٦م.

(٣) تمثل الأسلوب الزخرفى المملوكى فى نوعين الأول: يتمثل فى البلاطت ذات اللون الواحد الذى قد يكون أخضر أو أزرق أو تركواز، والنوع الثانى: ويتمثل فى البلاطات ذات الزخارف الكتابية والهندسية والزخارف العربية المورقة، والتى يغلب على ألوانها اللون الأخضر والأزرق والأسود. انظر: ربيع حامد خليفة: فنون القاهرة فى العهد العثمانى، ص٢٨.

(٤) المرجع نفسه، ص٢٩.

مجلوبة من تركيا – مدنية أزنيك- أو كوتاهية أو استانبول، أما النصف الثانى من القرن الثامن عشر فتمثل بلاطاته أسلوب المدرسة المحلية التى تأثرت بالتيارات الفنية الوافدة إلى مصر فى تلك الفترة من المغرب وشمال أفريقيا[1].

وعلى ذلك فإن البلاطات المستعملة أعلى العقد المستقيم بالواجهة البحرية لسبيل على بك الدمياطى، والذى يعود إلى النصف الأول من القرن الثامن عشر الميلادى، قد مثل عليها الأساليب الزخرفية العثمانية من أوراق رمحية مسننة وزهور قرنفل وغيرها باللون الأزرق على أرضية بيضاء، أما ما نفذ على بلاطات واجهة المسجد المعروف بابن العربى فيمثل المدرسة المحلية المتأثرة بالأساليب المغربية من حيث حجم البلاطة وكذلك العناصر الزخرفية.

وبعد فإن دراسة هذا الفصل قد أسفرت عن النتائج التالية:

١) إعادة تأريخ حمام بيبرس الخياط من سنة ٩٥٠هـ إلى سنة (٩٠٩هـ/ ١٥٠٣م).

٢) إعادة تصور للمسقط الأفقى الذى كانت عليه الحمام.

٣) اختلاف المسلخ المملوكى عن المسلخ العثمانى الذى يمثله مسلخ حمام الشرايبى.

٤) أثبتت الدراسة أن الحمام المعروفة بالشرايبى تعود للعصر العثمانى فى ضوء عناصر معمارية وتخطيطية تميزت بها عمارة ذلك العصر.

٥) انفرد سبيل مصطفى جوريجىبمدخل خاص يؤدى إلى السبيل والكتاب رغم إلحاقه بوكالتين، ونتيجة لاحتلاله زاوية الطريق، فقد شيد وفقاً لنمط الأسبلة ذات الشباكين.

٦) أدى السبيل والكتاب دورهما الاجتماعى خير قيام حيث أشارت إلى ذلك وثيقة الوقف من حيث إمداد المارة بالمياه، وتعليم أيتام المسلمين وكسوتهم وإطعامهم.

٧) قمت بوصف سبيل وكتاب الدمياطى وصفاً معمارياً دقيقاً، وكذلك تحليل عناصره المعمارية والزخرفية، والترجمة لصاحبه.

** ** ** **

(١) المرجع نفسه، ص٣٠.

الفصل الثالث

العمارة السكنية

يتناول هذا الفصل أنماط البيوت التى شيدت داخل الأحياء خلال العصرين المملوكى والعثمانى، والتى أثبتتها الوثائق المعاصرة، ومن البيوت التى أمكننى التوصل إليها من خلال الوثائق والمصادر والتى اندثرت معالمها باستثناء واجهة منزل المحروقى، بيت السلطان برقوق، بيت القاضى يحيى، قصر الأمير بيبرس الخياط، قصر الأمير على أغا، قصر محمد المحروقى.

١) بيت السلطان برقوق

المنشئ

هو الملك الظاهر برقوق بن أنس بن عبدالله الجركسى العثمانى، كان اسمه الطنبغا، فلما أحضره الخواجة عثمان تاجر الرقيق باعه إلى الأمير يلبغا الكبير فسماه برقوقاً لنتوء فى عينيه، وقد تسلطن برقوق فى سنة (٧٨٤هـ/ ١٣٨٢م)، وتلقب بالملك الظاهر، واتصف بالشجاعة وميله للفروسية وإجادته للعب بالرمح وكان محباً للعمارة، فأجرى إصلاحات للحرمين المكى والمدنى، وجدد خزائن السلاح بالإسكندرية وسور دمنهور وعمّر زاوية البرزخ بدمياط، وقناة بالقدس، وأصلح قناطر المياه بمصر، وأنشأ قبة للشيخ رجب الشيرازى بالمحجر سنة (٧٨١هـ/ ١٣٧٩م)، ثم مدرسته التى شيدها بين القصرين سنة (٧٨٨هـ/ ١٣٨٦م)[١] ووقف عليها أوقافاً عديدة منها هذه الدار التى شيدها بالجوذرية قبل سنة (٧٩٦هـ/ ١٣٩٣م).

موقع الدار

كانت هذه الدار تقع بدرب مشترك (ش بيبرس الآن) داخل زقاق بشير البزاز الذى ينفذ منه إلى أزقة حارة الجوذرية وأماكنها[٢]، والذى تغيرت معالم هذا الزقاق، ولم يعد له أثر باق، وبالنظر إلى خريطة الموقع حالياً (ش٧، ٨) يتبين أن هذا الزقاق قد كان يقع على يسار المار بشارع بيبرس متجهاً إلى شارع المنجلة، حيث كان يصل ما بين المسطاح والجوذرية، ولما كانت عطفة الصريف الغير نافذة الآن تقع بالجهة الشرقية من شارع بيبرس، فإنه من المرجح أن تكون هذه العطفة هى نفسها زقاق البشير والذى كان ينفذ منه إلى الجوذرية، وعلى ذلك

---

(١) حسن عبد الوهاب: تاريخ المساجد الأثرية، جـ١، ص١٩٢، ١٩٣.

(٢) وثيقة وقف السلطان برقوق ٥١/دار الوثائق القومية سطر ٢٠٦.

فإن موقع السلطان برقوق قد كان يشغل جزءاً من مساحة الأرض المقام عليها الآن مصنع النهضة للمنسوجات والذى أقيم فوق مساحة منزل محمد المحروقى.

الوصف المعمارى: (انظر المسقط الأفقى التصورى: ش٥٤)

كانت هذاه الدار أو البيت تشتمل على باب مربع يغلق عليه فردة باب يؤدى إلى دهليز ينتهى إلى مسطبة يعلوها شباك حديد يجاورها باب يؤدى إلى سلم يؤدى إلى بسطة كبيرة تشتمل على عمودين وصواف، وبيت أزيار، وسقفت هذه البسطة بسقف خشبى مدهون بالألوان[١] الزيتية المختلفة.

يتوصل من السلم المذكور إلى باب مربع عليه فردة باب يؤدى إلى مجاز يشتمل على بابين أحدهما يدخل منه إلى سلم يؤدى إلى طبقة صغيرة ومرافقه وحقوقها، والباب الثانى يؤدى إلى رواق محمول على ساباط[٢] معقود قبواً[٣]، يشتمل على إيوانين متقابلين فيما بينهما دور قاعة، والمجاز والرواق مسقفين بالخشب المدهون بالألوان الزيتية المختلفة، اما الإيوانين فيشتملا على طاقات مطلات على الطريق برسم الإضاءة والتهوية، والدور قاعة فرشت أرضيتها بالرخام الملون، واشتملت على صفف[٤] وأتروفيات[٥] وخرستانات[٦] وخزائن وكلها مكسوة بالرخام الملون، أما أرضية الإيوانين فقد غطيت بالبلاط الكدان.

وقد اشتملت الدور قاعة على أربعة أبواب: أحدهما: باب الدخول، والثانى: يؤدى إلى مرحاض مرخم، والثالث: عبارة عن خرستان، والرابع: يؤدى إلى دهليز به باب يدخل منه إلى طبقة لها سقف خشبى مدهون بالألوان، وكذلك تشتمل على مرافق وحقوق وسلم يؤدى إلى مطبخ سفلى يخص الرواق المذكور، فيشتمل على بئر ماء معين ومرحاض ومرافق وحقوق، كما كان يشتمل الدهليز المذكور على سلم يصعد منه إلى طبقة بمرافق وحقوق ثم إلى السطح العالى.

---

(١) الوثيقة السابقة، سطر ٢٠٨.

(٢) انظر معجم المصطلحات: مصطلح رقم (١٣).

(٣) انظر المعجم: مصطلح رقم (٣٠).

(٤) انظر المعجم: مصطلح رقم (١٦).

(٥) انظر المعجم: مصطلح رقم (١).

(٦) انظر المعجم: مصطلح رقم (١٠).

عناصر الدار المعمارية

يشير الوصف الوثائقى إلى هذه الدار إلى أنه كان يتكون من ثلاث طوابق معزولة، ولم تتضمن الدار صحن تدور حولها أقسامها المتعددة، فقد حرص المعمار على أن ينفذ تصميم هذه الدار بحيث يؤدى نفس الأسلوب الذى يؤديه تصميم الدار الذى تدور وحداتها حول صحن أوسط، والذى يفيد فى عدم رؤية من بالداخل بأسلوب مباشر[١].

فقد صمم معمار هذه الدار عمارته؛ حيث يؤدى مدخله إلى سلم يؤدى إلى دهليز يؤدى إلى سلم على بسطته أعمدة صوان وبيت أزيار، ثم يؤدى السلم إلى رواق خاص بأهل الدار، مع إضافة مرافق ومنافع وحقوق يتوصل إليها بواسطة سلالم هابطة وأخرى تؤدى إلى طبقات إقامة فى الطابق الذى يعلو الرواق الثالث ربما استغلت للأبناء، كما زود المعمار الرواق بفتحات إضاءة وتهوية عرفت بالطاقات ربما زودت بستائر خشبية – مشربيات – تسمح بدخول الهواء وتكسر حدة الضوء وتنتشر داخل قاعات الدار[٢] مما يؤدى إلى إحداث تكييف طبيعى للدار.

٢) دور يحيى زين الدين أمير استادار (بالمسطاح) المنشئ

هو الأمير أبو زكريا يحيى بن عبد الرازق القبطى القاهرى، ويقال: إنه ينتمى إلى أصل أرمنى، ولد بالقاهرة قبل عام (٨٠٠هـ/ ١٣٩٧م) بعدة سنوات وتوفى سنة (٨٧٦هـ/ ١٤٦٩م).

نشأ بالقاهرة وتربى، وتدرب فى الوظائف الحكومية على يد كتبة الأقباط وخدم فى عدة جهات منها نظر ديوان المفرد فى رمضان (٨٣١هـ/ ١٤٢٧م)، ثم عزل وتولى وظيفة ناظر الاسطبل السلطانى (٨٤٢هـ/ ١٤٣٨م)[٣]. ثم عين فى سنة (٨٤٦هـ/ ١٤٤٢م) استادار[٤]

---

(١) حسن الباشا: مدخل إلى الآثار الإسلامية، ص١٧٢.

(2) Lane Poole (S), ART Of The Sarcanes In Egypt London, 1886, P, 75-76.

(٣) السخاوى: الضوء اللامع، جـ١٠، ص٢٣٣، ٢٣٤.

(٤) اختص هذا الموظف بأمر البيوت السلطانية وما حوته من خزانات ومطابخ وشرابخاناة، وكذلك أمر الحاشية والغلمان، فضلاً عن مصاحبته للسلطان فى أسفاره، كما كان له الحكم فى الغلمان، وإليه أمور الجاشنكير، وله أيضاً السلطة المطلقة فى طلب ما يحتاجه كل من فى بيت من البيوت من النفقان والكساوى وغيرها. انظر: حسن الباشا: الفنون الإسلامية والوظائف، جـ١، ص٤٤.

للسلطان جقمق، ثم محتسباً للقاهرة سنة (٨٤٣هـ/ ١٤٤٩م)، وعزل منها ثم أعيد إليها فى صفر (٨٥٨هـ/ ١٤٥٣م)، مع توليته وظيفة كاشف كشاف الوجهين القبلى والبحرى فى نفس العام والشهر[١].

وقد أنشأ هذا الأمير عدة منشآت سكنية (٨٥٥هـ/ ١٤٥١م) منها ثلاثة شيدها فى مواجهة مسجده[٢] بجوار مدرسة جقمق ورابعة تواجههم بدرب المغشى[٣] بالجهة الشمالية من خط المسطاح، ونظرا لخروج الدور الثلاثة المجاورة لمدرسة السلطان جقمق زمن الإنشاء عن حدود البحث ودخول الرابعة فيه، فإن السطور التالية تتناولها بالوصف والتحليل.

موقعها

كانت تقع هذه الدار داخل خوخة خوند التى كانت تقع بدرب ابن المغشى الذى عرف بعد ذلك بعطفة الست بيرم بالجهة الغربية من المسطاح، على راس السويقة التى عرفت بالصاحب والتابعة لحى المسطاح من الجهة الشمالية.

ولهذه الدار حدود أربعة القبلى منها كان ينتهى إلى الطريق المسلوك وضم الواجهة، والحد البحرى والشرقى كانا ينتهيان إلى بعض الأملاك الخاصة بالجناب السعدى بن المغشى، والناصرى محمد ابن بيبرسن والحد الغربى ينتهى بعضه إلى الطريق وبعضه إلى ملك الجناب السعدى بن المغشى.

وهذه الأوصاف الحدودية تنطبق على مساحة الأرض المشغولة الآن بعدة منشآت، والتى تقع شمال عطفة الست بيرم حيث تطل على الشارع المعروف خطأ الآن بالسلطان الصاحب، وعلى ذلك يكون الحد القبلى هو المطل على شارع درب سعادة، والبحرى يجاور بعض الأملاك التى شغلها الآن (مكتب بريد الغورية) والشرقى كان يجاور بعض الأماكن التى تطل على الشارع المعروف خطأ الآن بالسطان الصاحب. أما الغربى فكان يطل على عطفة الست بيرم الآن. (انظر الخريطة ش ١٣).

---

(١) انظر لمزيد من التفاصيل عن هذه الشخصية: ليلى شافعى: منشآت القاضى يحيى زين الدين بالقاهرة، مخطوط رسالة دكتوراه، كلية الآثار، ١٩٨٢م، ص٧-١٨.

(٢) حسن عبد الوهاب: تاريخ المساجد الأثرية، جـ١، ٢٣٤، الوثيقة ١١٠/ دار الوثائق القومية باسم الأمير يحيى أمير استادار، سطر ٤٧٧ – ٥٠٣ وجه (وصف الدور الثلاثة) .

(٣) انظر الفصل الثانى من الباب الأول.

الوصف المعمارى : (انظر المسقط الأفقى التصورى، ش ٥٥)

اشتملت هذه الدار على واجهة مبنية بالحجر الفص النحيت، وكانت تضم بابان كان يتقدم أحدهما سلم حجر، والباب الثانى مقنطر يغلق عليه فردة باب له عتبة سفلية من الصوان، يؤدى هذا الباب إلى دركاة صغيرة لها سقف خشبى مكون من ألواح خشبية يتوسطه صرة، وهو مدهون بالألوان المتعددة[١].

تشتمل هذه الدركاة على بابين مقنطرين يؤدى أحدهما إلى اسطبل يحوى طوالة لوضع طعام الخيل، والتى كان عددها آنذاك سبعة رؤوس، وكذلك اشتمل الاسطبل على بئر ماء معين مشتركة بين هذا الاسطبل واسطبل آخر يجاوره، بالإضافة إلى ذلك فقد اشتمل الاسطبل على حاصل برسم الشعير ومتبن وركابخاناه معلقة بدرابزين يصعد إليها بسلم طائر، وخصصت لحفظ الأدوات المتعلقة بالخيول من سروج ولجم وغيرها[٢] .

أما الباب الثانى الذى اشتملت عليه الدركاة فكان يؤدى إلى اسطبل يجاور السابق، والذى كان يشتمل على طواله ومتبن وركابخاناه وكرسى مرحاض[٣] .

والباب الثانى الذى اشتملت عليه الواجهة والذى يؤدى إلى سلم معقود بالبلاط الكدان يؤدى هذا السلم إلى طبقة بمنافع ومرافق وحقوق، لها سقف نقى مدهون مفروشة بالبلاط، تشتمل على خزانة نومية وأغانى ومطبخ، ثم يؤدى السلم إلى باب يدخل منه إلى دهليز به ثلاثة أبواب الأول منهما يؤدى إلى دهليز به بيت أزيار وكرسى مرحاض ومطبخ وسلم، وبالدهليز المذكور باب يؤدى إلى طبقة ومنافع وحقوق ومنه ايضا نصل إلى رواق يحوى إيوانا ودور قاعة ومنافع وحقوق[٤] .

التحليل المعمارى :

يمثل تخطيط هذه الدار نموذجا ثانياً عرفه الحى خلال العصر الجركسى،يمتاز باشتماله على ثلاثة طوابق، الآرضى منهم يشتمل على بابين أحدهما يؤدى إلى اسطبل الخيل وبعض المرافق والمنافع والحقوق، والأخر يؤدى إلى الطابقين العلويين المخصصين للسكنى.

---

(١) الأمير يحيى أمير استادار ١١٠/ دار الوثائق القومية، سطر ٤٦٤ .

(٢) الوثيقة نفسها، سطر ٤٦٥، ٤٦٦.

(٣) الوثيقة نفسها، سطر ٤٦٧، ٤٦٨.

(٤) الوثيقة نفسها، سطر ٤٧٧ – ٤٨٥ وجه.

وقد استعملت الأسقف المسطحة فى تغطية وحدات الدار مع زخرفتها بالزخارف التى تتفق وروح العصر بالألوان المتعددة.

بالإضافة إلى ذلك استعمل الخشب الخرط فى تغشية الفتحات الكبيرة فى الطبقة المشيدة علو الطابق الأرضى والمعبر عنها بالأغانى، وذلك لتمكين أهل الدار من مشاهدة ما يحدث خارج الدار، دون أن يراهم أحد.

ويبدو أن هذه الطبقة قد خصصت لاستقبال الضيوف، وإقامة الغرباء فضلا عن استخدامها لإقامة الأبناء.

أما الطابق الثانى بعد الأرضى فقد خصص للإقامة، واشتمل على طبقة للمبيت ورواق مكون من دور قاعة وإيوانين خصصا للجلوس فضلا عن المرافق والحقوق.

وعلى ذلك فإن هذا النموذج أيضا قد افتقد الصحن الذى تدور حوله وحدات الدار.

وبجانب هذين النموذجين شيد القاضى يحيى ثلاثة دور أخرى مختلفة فى تخطيطها عن الدار السابق وصفها، حيث اشتملت الأولى منها على واجهة بها مدخل يؤدى إلى دركاة تؤدى إلى اسطبل ومرافق وحقوق وسلم يؤدى إلى طابقين الأول منهما يشتمل على رواق مكون من دور قاعة وإيوانين وخزانة ومرحاض ومطبخ، والثانى يشتمل على رواق مكون من دور قاعة وإيوانين وخزنتين للنوم وأغانى[1] . (انظر ش ٥٧).

والنموذج الثالث لدوره يشتمل على واجهة بها مدخل يؤدى إلى دهليز به بيت أزيار وباب يؤدى إلى رواق مكون من دور قاعة وإيوانين ومرحاض ومطبخ يجاوره ممر يؤدى إلى دهليز وطبقة. ينتهى الدهليز بباب يؤدى إلى رواق مكون من دور قاعة وايوانين ومطبخ ومرحاض، ومن الرواق الأول نصل إلى سلم يؤدى إلى طبقة مكونة من إيوان ودور قاعة، ومنه أيضا نصل إلى السطح العالى.

وهذا النموذج شيدت وحداته جميعها فى طابقين اشتمل على معظمها الطابق الأرضى، ومن خلال سلم مسروق بالدهليز الذى يشتمل عليه الرواق الأول نصل إلى الطبقة التى شيدت علو الدهليز والمطبخ والمرحاض الخاصة بالرواق الأول[2]. (انظر ش٥٦).

---

(١) الوثيقة السابقة، سطر ٤٧٧ – ٤٨٥ وجه.

(٢) الوثيقة السابقة، سطر ٤٨٦-٤٩٥ وجه.

وهذه النماذج جميعها سواء ما شيد منها داخل الحى أو خارجه قد افتقدت فى تخطيطها لعنصر الصحن، ولعل ذلك راجعاً إلى صغر مساحة الأرض المنفذ فوقها التخطيط، وقد يتساءل المرء إذا كان هذا هو السبب فلماذا شيد القاضى يحيى زين الدين المذكور هذه الدورالثلاثة بجوار بعضها وكان من الممكن تشييد دار واحدة واسعة، ولعل السبب وراء ذلك راجع إلى أن هذه الدور هى دور للسكنى يؤجرها المنشئ لتدر ربحاً يصرف منه على أوقافه، وعلى ذلك فإن الواقف قد اتخذ من الدار التى شيدها بالمسطاح مقراً لسكنه إذا اشتملت على اسطبلين للخيل، مما يشير إلى كبر مساحتها، وبالتالى استغلال الطابق الأرضى كله لهذا الغرض والطوابق الأخرى للسكنى، ومن ثم افتقدت دار سكنه للصحن.

اما البيوت الكبيرة فقد اشتملت على عنصر الصحن مثل قصر الأمير بشتاك (٧٤٠هـ/ ١٣٣٩م)، وقصر الأمير طاز (٧٥٣هـ/ ١٣٥٢م) والذى اندثرت بعض عناصره، ويتمثل تخطيطه فى صحن مكشوف يحيط به وحدات معمارية خدمية، وغيرها وبه أيضاً سلم يؤدى إلى المقعد، والطابق الثانى الذى يتضمن بعض الوحدات المعمارية الأخرى[1] المطل بعضها على الصحن والمتمثلة فى قاعة سكن وحجرات، ووحدات خدمية.

وبجانب هذه الدور تشير وثيقة وقف الأمير بيبرس الخياط إلى المشتملات المعمارية لقصره الذى شيده بالجوذرية سنة (٩١٣هـ/ ١٥٠٧م)[2]. بعد أن آلت إليه بعض المنشآت التى هدمها وأقام مكانها داراً كبرى وقصراً واسطبلاً على يسار المار بشارع بيبرس عند التقاؤه مع شارع المنجلة، وهذه المنشآت كانت تواجه مكاناً آخر يجاور زاوية الشيخ عثمان الحطاب على يمنة السالك من شارع بيبرس عند تقاطعه مع شارع المنجلة، والذى يشغله الآن بيت من القرن (١٩م) يمتاز بواجهته ومدخله الضخم المزدان بزخارف قالبية ضخمة، وهذا المكان كان يواجه الحمام التى شيدها الأمير بيبرس على يسار المار بالشارع[3]، وقد اشتمل هذا المكان على واجهة كبيرة ضمت بابين مقنطرين يعلوهما شبابيك من الخشب يؤدى أحدهما إلى اسطبل به متبن ومنافع وحقوق. والآخر يؤدى إلى دركاة لها سقف نقى تنتهى بباب يؤدى إلى مجاز اشتمل على بئر ماء معين يجاورها باب يؤدى إلى الاسطبل يعلو

---

(1) Revault (J), Et Mayry (B), Op.cit,Fig, 16, 17.

(٢) الوثيقة السابقة، سطر ٥٧ وجه.

(٣) وثيقة وقف ٢٠٢/الأوقاف/الأمير على أغا، سطر ٤٧ مؤرخه (١٢٠٥هـ/١٧٩٠م).

البئر المذكورة مقعد مطل على المجاز.

أما المجاز فينتهى إلى زلاقة[1] بجانبها مسطبة كبيرة تؤدى الزلاقة تؤدى إلى باب يكتنفه مسطبتان يؤدى إلى دركاة مرخمة على يمين وبيار الداخل إليها بابان، أحدهما يؤدى إلى مطبخ، والثانى يؤدى إلى دهليز مرخم به عنبر من الرخام يؤدى الدهليز إلى باب به كرسى خلاء ودهلز ثانى مرخم يشتمل على بيت أزيار، وباب مربع يؤدى إلى قاعة مرخمة كانت تشتمل على إيوانين ودور قاعة وسدلة يعلوها باذاهنج[2]، وقد سقفت هذه القاعة بأسقف خشبية نقية مدهونة، وقد ضمت هذه القاعة أربع أبواب بدور قاعتها الأول يؤدى إليها والثانى خرستان والثالث خزانة والرابع يؤدى إلى مطبخ يجاوره سلم يصعد منه إلى رواقين بكل منهما منافع وحقوق وطاقات مطلات على الطريق[3]. (انظر المسقط الأفقى التصورى ش٥٨).

أما القصر الخاص بالأمير بيبرس، فقد شيده فوق الاسطبل الذى أوجده محل الدار والقاعة القديمة التى جددها الواقف فى مواجهة مدرسته من ناحية واجهتها الشرقية، المطلة على شارع المنجلة (سيدى حبيب النجار). وفى مواجهة القصر سكن الحريم الواقع على يمنة السالك من شارع بيبرس عند تقاطعه مع شارع المنجلة، والذى سبق وصفه، وقد خصص الأمير بيبرس هذا القصر لإقامته مع جنوده أو مماليكه الذين خصص لإقامتهم أربع طباق يتوصل إليها من الاستطراق الذى أوجده فوق الاسطبل الكبير[4]، والذى كان يؤدى إلى القصر، بعد أن كان الوصول إليها من خلال باب بالجهة البحرية من القصر. (ش بيبرس الآن) (انظر خريطة الموقع فى العصر المملوكى، ش٩).

وقد هدم الأمير بيبرس جميع الأجزاء القديمة التى كانت تضم الدار الكبرى التى آلت إليه بطريق الشراء، حيث شيد بالطابق الأرضى محل القاعة الكبرى اسطبل كبير ومقعد، أسفله طبخخاناة وفراشخاناة ويواجه باب الدخول إليه باب آخر يؤدى إلى مبيت لطيف ومرافق وملاحق ربما خصصت لإقامة البواب، أما الجهة البحرية فقد كانت تضم بابين

---

(١) انظر: معجم المصطلحات، مصطلح رقم (١٢).

(٢) انظر: معجم المصطلحات، مصطلح رقم (٧).

(٣) الوثيقة نفسها، سطر ٨-١٨ وجه.

(٤) الوثيقة السابقة، سطر ٦١ وجه.

مقنطرين أحدهما كان يؤدى إلى اسطبل لطيف سد وفتح غيره من داخل القصر، أما الآخر فكان يؤدى إلى طباق المماليك الأربعة من خلال سلم هدمه وجعل هذا الباب يؤدى إلى طبلخاناة، وبجانب ذلك أنشأ سبيل[1] يحتل زاوية القصر حيث كان يطل على شارع بيبرس وشارع المنجلة (انظر المسقط الأفقى للقصر، ش٥٨).

أما القصر فكان يتم التوصل إليه من خلال استطراق أوجده فوق الاسطبل الكبير، والذى كان يتوصل إليه من خلال السلم المؤدى إلى المقعد، حيث كان هذا الاستطراق يؤدى إلى باب مربع على يمين الداخل منه معالم مزملة، وباب يدخل منه إلى القصر الذى كان يشتمل على إيوانين كبيرين متقابلين بينهما دور قاعة كبيرة كسيت أرضيتها بالرخام الملون، على يمين الداخل إليها كان يقع الإيوان الكبير، والذى كان يتصدره سدلة كبيرة يكتنفها سدلتان لطيفتان، ويعلوها ثلاث قمريات وباذاهنج. أما السدلة الأخرى التى تكتنف سدلة الإيوان فقد كان يعلوها سبع طبقات برسم القمريات، والسدلة اليسرى الأخرى المواجهة كان يعلوها إثنى عشرة قمرية، وقد كان يتصدر هذه السدلة شباك من الخشب الخرط مكون من درفتين من الخشب المدهون، وشباك آخر لطيف ثم قبة لطيفة تغطى هذه السدلة[2].

كما كانت تضم هذه السدلة باب يؤدى إلى مبيت كبير به شباك من الخشب الخرط مدهون، وكان يشتمل هذا المبيت على مستحم وبيت خلاء (كنيف معقود)[3].

أما الإيوان الثانى فكان يقع على يسرة الداخل للدركاة فى مواجهة الإيوان الأول، وكان يضم سدلتان متقابلتان إحدهما على يسرة الصاعد إليه وكانت تضم شباك كبير يطل على معالم ما بقى من معالم القاعة الكبرى القديمة وساحة خربة، والسدلة الأخرى على يمنة الصاعد وكانت صغيرة اشتملت على صف من القمريات وطاقة كبرى فى المستوى العلوى منها، وقد غطيت أرضيات الإيوانين والمبيت والسدلات بالبلاط، اما الأسقف فكانت من الخشب النقى المدهون بأنواع الدهان على مربعات[4].

---

(١) الوثيقة نفسها، سطر ٨٤ وجه.

(٢) الوثيقة نفسها، سطر ٦٤-٦٨ وجه.

(٣) الوثيقة نفسها، سطر ٦٨ وجه.

(٤) انظر: معجم المصطلحات، مصطلح رقم (٢٩).

ولكل إيوان كريدى[1] مدهون يشرف على الدور القاعة.

أما الدور قاعة فقد ضمت بجانب ذلك أربعة أبواب أحدهما: باب الدخول إليها، والثانى: يقابله وكان يدخل منه إلى خرابة، والثالث: يدخل منه إلى كرسى مستحم معقود، والرابع: يدخل منه إلى خزانة مبلطة بغير سقف، وعلى جانبى الدور قاعة الآخرين كانت توجد سدلتان متقابلتان اشتملت إحداهما على شباك كبير يطل على جهة مسجد برحبة كتبغا[2] يعلوه خمس قمريات يعلوه طاقة كبرى. أما السدلة الأخرى فكانت تضم شباك كبير يطل على الساحة الخربة الباقية من معالم القاعة الكبرى إلى جانب قمريات، وطاقة تحاكى ما يقابلها فى السدلة المواجهة، وقد سقفت الدور قاعة بسقف خشبى نقى مدهون حريرياً تعلوه شخشيخة من الخشب الخرط، كالتى اشتملت عليها دور قاعة مدرسته والتى فقدت فى عصرنا الحالى[3].

ويتضح من وصف القصرين أن الأمير بيبرس قد خص قصر قائم بذاته للحريم وزوده بمقعد خاص يطل على مجاز داخلى، وكذلك المرافق والحقوق الأخرى، كما كان يتصل بالحمام التى أنشأها فى مواجهتها بجوار مدرسته من خلال باب خاص بالحمام يؤدى إلى قصر الحريم[4].

أما القصر الآخر فقد خصه لإقامته مع مماليكه حيث اشتمل على أربعة طباق، وفراشخاناة وطبخخاناة، ومبيت صغير، ومقعد من ثلاثة عقود، بالإضافة إلى اشتماله على اسطبل وطبلخاناة وسبيل.

وهذه المكونات المعمارية خصصت لإقامة أمير مع مماليكه، فوجود الفراشخاناة والطبخخاناة قد كان لخدمة عدد كبير من المقيمين بالقصر وهم هنا مماليك المنشئ، أما الطبلخاناة فقد خصصت لحفظ الطبول وغيرها المستعملة فى المواكب العسكرية مما يشير إلى كبر عدد هؤلاء المماليك. أما المقعد فربما خصص لجلوس الأمير بيبرس لاستعراض مماليكه

---

(١) انظر: معجم المصطلحات، مصطلح رقم (٢١).

(٢) انظر: الفصل الثانى من الباب الأول.

(٣) الوثيقة السابقة، سطر ٧٢-٧٧ وجه.

(٤) حسن الباشا: المدخل، ص١٧٢، ١٧٣، وأرنست كونل: الفن الإسلامى، ترجمة أحمد عيسى، ص١١١؛ وكمال الدين سامح: المرجع السابق، ص٧٣.

والوقوف على متطلباتهم، والمبيت فربما خصص للبواب أو القائم على أمر الفراشخاناة والطبخخاناه، أما القصر فقد خصص للأمير بيبرس واستقبالاته باعتباره شخصية عسكرية مهمة فى ذلك العصر أى أنه قاصراً عليه ومماليكه وضيوفه دون الحريم.

وعلى ذلك فإن فصل إقامة الحريم عن الرجال فى قصور مستقلة يمثل عمارة الشخصيات الكبيرة واسعة الثراء، والتى يتطلب عملها مثل هذه العمارة كما فى هذا القصر. والذى سيصبح بعد ذلك نمطاً للعمارة العثمانية السكنية التى دمجت الحرملك مع السلاملك فى منشأة واحدة، ولكن باستقلالية كاملة، بحيث يختص الطابق الأول للرجال والثانى للحريم، ويتصل بالأول بواسطة سلم داخلى[1]، وفى أحيان أخرى كان يقع السلاملك فى الطابق الثانى والحرملك فى نفس الطابق، ولكن فى جهة أخرى من الدار أما القصر بتخطيطه المكون من قاعة وإيوانات وسدلات فهو نظام عرفته العمارة الإسلامية فى مصر منذ القرن الثامن الهجرى[2]، حيث يوجد فى القاهرة أقدم مثل لقاعة إسلامية تعرف بقاعة عثمان كتخذا، وهذه القاعة تخلفت من منزل كبير أنشأه محب الدين الموقع الشافعى سنة (٧٥١هـ/ ١٣٥٠م)، وامتلكه بعد ذلك الأمير كتخذا (١١٤٨هـ/ ١٧٣٥م)، وقد هدم جزء كبير من هذا البيت على أثر تخطيط شارع بيت القاضى، ولم يتبق منه سوى هذه القاعة المكونة من إيوانين ودور قاعة وأسقف خشبية جميلة[3]، وهو نفس النمط الذى سارت عليه قاعات المنازل بعد ذلك.

وعلى ذلك يكون هذا التخطيط الذى اشتمل عليه قصر الأمير بيبرس وقصر حريمه قد مثل طرازاً آخر قد عرف بجانب طراز القصور أو البيوت التى اشتملت على مكان للحريم وآخر للرجال فى مبنى واحد، مثل قصر بشتاك (٧٣٥-٧٤٠هـ/ ١٣٣٤-١٣٣٩م) وغيره من البيوت الأثرية الباقية، أو التى درست معالمها مثل التى تحدثت عنها فى الصفحات السابقة.

---

(١) حسن الباشا: المدخل، ص١٧٢، ١٧٣، أرنست كونل: الفن الإسلامى، ترجمة أحمد عيسى، ص١١١، وكمال الدين سامح: المرجع السابق، ص٧٣.

(٢) كمال الدين سامح: المرجع السابق، ص ٧٦.

(٣) كمال الدين سامح: المرجع السابق، ص٧٦.

٣) دار على أغا

المنشئ

هو الأمير على، أصله مملوك ليحيى كاشف تابع أحمد بك السكرى الذى كان كتخذا عند عثمان بك الفقارى الكبير، تزوج ببنت أستاذه وسكن بحارة السبع قاعات[١]، ثم عمل كتخذا عند سليمان أغا الوالى إلى أن تقلد سليمان أغا المذكور أغاوية مستحفظان، فصار الأمير على مقبولاً عنده ويتوسط للناس عنده فى القضاء والدعاوى، فاشتهر ذكره وارتاح الناس إليه، وكان قليل الطمع لين الجانب، اشترى دار مصطفى أغا الجراكسة التى كانت تجاور الجامع المعروف بابن العربى، فقام بإنشائها وتجديدها[٢] سنة (١٢٠٥هـ/ ١٧٩٠م)، وظل بها إلى أن توفى فى ٣ ذى القعدة سنة (١٢١٩هـ/ ١٨٠٤م)[٣].

الموقع

كانت هذه الدار تحتل المساحة التى تشغلها اليوم بقايا دار محمد المحروقى التى تبقت منها الواجهة فقط، واحتل مصتع منسوجات جزءاً كبيراً منها الآن. (انظر الخريطة ش١٠).

وقد كان يسكن هذه الدار قبل الأمير على الأمير مصطفى أغا الجراكسة[٤]، ثم الأمير سليمان أغا الشهير بالبشلى[٥]، ثم الأمير على كتخذا الأمير سليمان أغا حيث آلت إليه بطريق البيع[٦]، ثم تملكها من بعده محمد المحروقى شاهبندر التجار[٧].

الوصف المعمارى[٨] : (انظر المسقط الأفقى التصورى ش٥٩، ٦٠)

كان لهذه الدار باب كبير معقود يتوسط الواجهة القبلية، على جانبيه مكسلتان يؤطره

---

(١) كانت تحتل المساحة التى خلف المدرسة الأشرفية الآن بجوار جامع تغرى بردى.

(٢) الأمير على أغا كتخذا الأمير سليمان بك/ وثيقة وقف ٢٠٢/ الأوقاف مؤرخة بسنة (١٢٠٥هـ/١٧٩٠م)، سطر٧، والجبرتى: المصدر السابق، جـ٣، ص٤٧٤، ٤٧٥.

(٣) مات فى سمالوط بأسيوط فأحضروه منها وكفنوه وصلوا عليه بالأزهر ودفنوه بالقرافة. انظر: الجبرتى: جـ٣، ص٤٧٤، ٤٧٥.

(٤) على مبارك: الخطط، جـ٣، ص١٨٢، الجبرتى: جـ٣، ص٤٧٤، ٤٧٥.

(٥) الوثيقة ٢٠٢/ الأوقاف، سطر ٩، ١٠.

(٦) الوثيقة نفسها: سطر ١٠.

(٧) محمد المحروقى/ وثيقة وقف ٩٠٢/ الأوقاف مؤرخة (١٢٤١هـ/١٨٢٥م).

(٨) الوصف وثائقى نظراً لاندراس الدار.

جفت لاعب من الحجر الفص النحيت[١] الأحمر، ركب على هذه الفتحة فردة باب من الخشب النقى، يؤدى هذا الباب إلى دركاة تشتمل على مسطبة خصصت لجلوس البواب[٢] فتح أسفلها خزانة، يجاور المسطبة باب يؤدى إلى حاصل، ومن الدركاة يصل المار إلى باب يؤدى إلى دهليز مستطيل على يسار المار به جنينة الدار، وينتهى الدهليز إلى حوش كشف سماوى تدور حوله بعض ملحقات الدار التى منها طاحونة، وحمام واسطبل خيل، وسلم يؤدى إلى مقر الحريم، وبئر ماء معين، ومقعد يصعد إليه من سلم بالحوش المذكور، ومطبخ وحواصل كبيرة وصغيرة[٣]. (انظر توزيع هذه المرافق بالمسقط الأفقى التصورى، ش٦٠).

أما الطابق الثانى فكان يتم التوصل إليه من خلال سلم المقعد المذكور، حيث كان يؤدى هذا السلم إلى بسطة كبيرة دائرية، تشتمل على باب مربع على جانبيه مكسلتان بغلق على هذا الباب فردة باب أطلقت عليه الوثيقة اسم باب عربى معشق قطع (أى أنه نفذت عليه الزخارف بأسلوب التجميع والتعشيق)، يؤدى هذا الباب إلى بسطة أخرى تؤدى إلى سلم آخر يؤدى إلى بسطة ثالثة كانت تشتمل على بابين، الأيسر يؤدى إلى المقعد السابق ذكره، أما الباب الأيمن فكان يؤدى إلى رحبة او فسحة بعضها مسقف والبعض الآخر بدون سقف، اشتملت هذه الفسحة على ثلاثة أبواب وسلم، أحد هذه الأبواب كان يتم التوصل منه إلى حجرة كبيرة (أودة) اشتملت على شباك كان يطل على الحوش السفلى السابق ذكره. ومن الباب الثانى يصل الداخل إلى كرسى راحة، أما الباب الثالث فكان يدخل منه إلى بيت قهوة.

ومن السلم الذى كان يجاور هذه الأبواب الثلاثة كان يتوصل إلى بسطة تؤدى إلى فسحة أو رحبة بدون سقف كانت تشتمل على أربعة أبواب، الأول منها كان يقع بالجهة اليسرى ويؤدى إلى المقعد. وهذا المقعد تميز بأرضيته المفروشة ببلاط الكدان، وتخطيطه المشتمل على إيوان واحد ودور قاعة مستطيلة، ويشرف على الحوش ببائكة من ثلاثة عقود ترتكز على عمودين من الرخام[٤]. أسفل هذه العقود درابزين من الخشب النقى، اما الدورقاعة فقد

---

(١) عرف فى مصطلح وثائق ذلك العصر باسم تافريز حجرى، انظر: الوثيقة ٢٠٢/أوقاف، سطر ١٢.
(2) Lanepoole (S), Op.cit. P,76.

(٣) الوثيقة ٢٠٢/ أوقف، سطر ١١، ٢٠.

(٤) جيرار دى نرفال: رحلة إلى الشرق، ترجمة كوثر عبد السلام البحيرى، دار الكتاب العربى للطباعة والنشر، جـ٣، ص٢٦٣.

اشتملت على بابين من أحدهما كان يتوصل إلى خزنة معدة لوضع الصوانى والطشوت والأباريق والكراسى، اما الباب الثانى فكان يؤدى إلى فسحة مسقفة بالخشب النقى المدهون كان بها بالجهة اليسرى باب يؤدى إلى حجرة كبيرة كانت تطل على الحوش السفلى، وبالجهة اليمنى اشتملت على بابين متجاورين بجوارهما مزيرة بجاورها دهليز صغير به ثلاثة أبواب أحدها على اليمين يؤدى إلى حمام صغير وعلى اليسار كرسى راحة.

يجاور الدهليز المذكور سلم يؤدى إلى فسحة كانت تشتمل على ثلاثة أبواب أحدها كان يؤدى إلى قاعة كبيرة تحوى إيواناً واحداً، ودور قاعة بها خزنة للنوم، وسدلتان اشتملت كل واحدة على شباك خرط يطل على الطريق (سكة الشرايبى الآن). أما الدور قاعة فقد اشتملت على شباكين خرط يطلان على الطريق الموصل للجوذرية.

هذا وقد سقف المقعد بسقف خشبى نقى، واشتمل المقعد بجانب ذلك على أربعة دواليب متقابلة برسم الكتب. وقد كان يتم التوصل إلى الحرملك من خلال سلم بالمقعد وسلم آخر بالحوش السفلى يؤدى إلى المقعد والحريم.

وهذا السلم كان يؤدى إلى بسطة بها سلم يصعد من عليه إلى بسطة ثانية تؤدى إلى فسحة كبيرة بها جزء مسقف، والآخر بدون سقف، اشتملت هذه الفسحة على بابين متجاورين، يدخل من الأول إلى "أودة" والآخر يؤدى إلى "أودة" مشابهة بأحد "الأودتين" حمام معقود بجانبه كرسى راحة، كما اشتملت الفسحة المذكورة على سلم يؤدى إلى فسحة بدون سقف، بها ثلاث أود يدخل من أحدهم إلى قصر صغير يطل على الحوش، به خزنة نومية ومطبخ ورفوف وخزانات للكتب وغيرها، كذلك اشتملت الفسحة فى أقصاها على يسار الداخل إليها على دهليز كبير بدون سقف، به باب يؤدى إلى قاعة كبرى اشتملت على إيوانين ودورقاعة.

وسدلتين وخزنة نومية، بدور القاعة المذكورة باب يؤدى إلى كرسى راحة ومزيرة يجاورها باب يؤدى إلى حمام كبير، اشتمل على بيت أول يتوصل منه لبيت الحرارة، وقد تميزت هذه الحمام بالأسقف المعقودة التى يتوسطها الجامات الزجاج، كذلك فقد فرشت أرضيتها بالرخام الملون المستورد (المعبر عنه بالإفرنجى)[1]، كذلك فقد اشتملت على حنفية من

(١) انظر: الوثيقة السابقة، سطر ٣٥.

الرخام بها بزبوزان من النحاس أحدهما للماء البارد ، والثانى للماء المسخن. بجانب ذلك اشتملت الحمام على دست نحاس مخصص لوضع الماء البارد والساخن لمد الحمام باحتياجاتها من المياه.

ومن الدهليز المذكور يصل المار به إلى مزيرة فى نهايته، وباب يجاورها يؤدى إلى قاعة كبرى تتكون من أربعة أواوين ودور قاعة تتقدمها فسحة مسقفة بالخشب المدهون، منها يصل المار إلى باب يؤدى إلى خزنة كبيرة بداخلها دهليز يؤدى إلى كرسى راحة.

أما المرافق فقد خصصت بعضها داخل هذه الكتل المعمارية، بعضها شيد بالطابق الأرضى، وخصص المعمار للوصول إليها سلم هابط من الدهليز –الفسحة الأولى– حيث كان يؤدى إلى مطبخ يشتمل على نصبة كوانين وكرسى راحة وبئر ماء معين وحاصل، بالإضافة إلى بعض الحجرات المعدة للتخزين التى اشتمل عليها الدهليز المؤدى إلى الحرملك المتصل بسلم باب سر الحريم، وقد كان يجاور إحدى هذه الحجرات دهليز اشتمل على كرسى راحة وحمام وأودة عجين ومستوقد الحمام، اشتمل هذا المستوقد على سلم يؤدى إلى باب يدخل منه إلى حجرة، كما فتح على الدهليز باب يؤدى إلى قاعة كبرى تحوى إيوانين ودور قاعة اشتملت على صفة[1] معدة لوضع القلل علوها ملقف بجلب الهواء لتبريد المياه داخل القلل.

وبجانب ذلك اشتمل الدهليز الذى يتوصل إليه من باب سر الحريم على سلم يؤدى إلى فسحة كبرى اشتملت على مزيرة، وكرسى راحة، وباب يؤدى إلى قاعة مكونة من إيوان ودور قاعة، وثلاث سدلات، بالقاعة المذكورة خزنة نومية، وبالفسحة سلم يؤدى إلى فسحة أخرى بدون سقف، وقد أحيطت الفسحة الأولى بدرابزين من الخشب النقى المدهون، وفرشت أرضيتها بالرخام الملون، ومن الفسحة الثانية يصل المار إلى فسحة بها باب يؤدى إلى قصر علو المقعد، أى فى الطابق الثالث من الدار، ويطل على الحوش.

وهذا القصر كان يسقفه سبعة قبب أو قباب ملمعة بالذهب والألوان الأخرى كما غطيت حوائطه بالقيشانى[2].

---

(١) انظر: معجم المصطلحات، مصطلح رقم (١٦).

(٢) الوثيقة السابقة، سطر ٢١–٤٨.

التحليل المعمارى

دارت العناصر المعمارية لهذه الدار حول الفناء الأوسط، حيث خصص المهندس هذا الطابق الأرضى لكى يشتمل على بعض الواحدات الخدمية التى ترتبط بالمنشئ وأهل داره، مثل الاسطبل المخصص بحيث يكفى لثمانية رؤوس خيل، بجانب حواصل عديدة بلغت عدتها عشرة حواصل خصص بعضها لخزن متعلقات الدار وبعضها لحفظ الطعام المخصص للخيول، وأخرى لبعض المهام التى تخص وظيفة المنشئ.

كذلك ضم هذا الطابق مطبخ وطاحونة وجنينة ومنظرة وبئر ماء معين، وهذه الواحدات خصص بعضها لإعداد طعام سريع للجلوس بالمنظرة التى شيدت فى الغالب لاستقبال ضيوف المنشئ[1]، أما الطاحونة، فخصصت لتجهيز بعض المواد اللازمة لأهل الدار من حبوب[2] وغيرها، أما الجنينة فقد خصصت لبعض الأشجار والخضروات التى قد تلزم أهل الدار فى الحياة اليومية بجانب صفتها الأخرى، والتى تفيد فى تلطيف حرارة الجو صيفاً، كذلك، فإن البئر التى ضمتها هذه الدار قد وقع عليها مهمة إمداد الدار باحتياجاتها من المياه.

وهذه العناصر وجدت فى معظم الدور التى ترجع لهذا العصر، فقد اشتمل عليها منزل الشيخ عبد الوهاب الطبلاوى (السحيمى) (١٠٥٨-١٢١١هـ/ ١٦٤٨-١٧٩٦م) بالدرب الأصفر، ودار على أفندى لبيب (١٢هـ/ ١٨م) بدرب اللبانة، والمسافرخانة بالدرب الأصفر (١١٩٤هـ/ ١٧٧٩م)، وغيرها[3].

أما الطوابق العليا فقد اشتملت على العديد من الوحدات السكنية المعبر عنها بلفظة "قاعة سكني"، والتى غالبا ما كانت تشتمل على إيوان ودور قاعة وحمام ومطبخ، وكرسى راحة، وأودة كلار، وفى بعضها إيوان وخزنة نومية بجانب بعض الملحقات الخدمية السابق

---

(١) حُرِّف اللفظ وأصبح يطلق عليها اسم المندرة فى معظم قرى مصر. وهذه المندرة عادة ما تكون فى الطابق الأرضى، ويرتفع سقف جزءها الأوسط المعروف بالدور قاعة فى بعض الأحيان إلى ارتفاع ثلاثة أدوار، وتتكئن المندرة من إيوانين جانبين وبينهما الدور قاعة، التى غالباً ما يسقفها شخشيخة أو قبة صغيرة بجوانبها مشربيات للإضاءة والتهوية. انظر: كمال الدين سامح: المرجع السابق، ص٧٥، وجيرار دى نرفال: رحالة إلى الشرق، جـ٣، ص٢٦٢.

(٢) جيرار دى نرفال: المرجع نفسه، ص٢٦٢.

(3) Revault (J) Et Maury (B), Op.cit Tome III, 1979, Fig, 36, 37, 38, 40, 41.

ذكرها. وهذه الوحدات شغلت الطابق الثانى من الدار، ولعل كثرتها تشير إلى أن هذا الرجل قد كان متزوجا بأكثر من زوجة، وإنه كان لديه عدد غير قليل من الأولاد، نظرا لتعدد وحدات الدار السكنية والخدمية.

ومما يجدر ذكره أن هذه الدار قد ضمت أكثر من حمام فى سلاملك الرجال الذى شيد فى هذه الدار فى الطابق الثانى بجوار المقعد، ومنه كان يتوصل إلى الحرملك الذى شيد كذلك فى الطابق الثانى من الدار والثالث أيضاً، والذى اشتمل كذلك على أكثر من حمام كانت تشتمل على مكونات الحمام العامة[1] من حيث وجود بيت أول وبيت الحرارة، ومستوقد لتسخين المياه مما يدل على عظم جاه هذا الرجل وعلو قدره بين أهل عصره وكيف لايكون كذلك وهو من الأمراء المميزين فى ذلك العصر.

إلى جانب ذلك اشتملت الحمام على حنفية من الرخام ببزبوزين أحدهما للماء البارد، والآخر للماء الساخن مثلما هو الآن فى عصرنا الحاضر، أما الطابق الثالث فقد شيده قصرا لحريمه وسقفه بالقباب التى بلغ عدتها سبع قباب ملمعة بالذهب والألوان الأخرى[2]، وبعض هذه الوحدات قد وجدت فى الكثير من العمائر السكنية التى تعود لهذا العصر مثل (المقعد – الحمام – القاعة السكنية – التختبوش – المندرة). مثل منزل جمال الدين الذهبى (١٠٤٧هـ/ ١٦٣٧م) بحارة حوش قدم، والمسافر خانة بشارع الجمالية (١١٩٤هـ/ ١٧٧٩م)، ومنزل السنارى (١٢٠٩هـ/ ١٧٩٤م) بحارة منج بالسيدة زينب، ومنزل السحيمى بالدب الأصفر[3]، وغيرها نماذج كثيرة، تمتاز جميعها بالفخامة والثراء المعمارى ..

٤) منزل محمد المحروقى :

المنشئ :

هو الحاج محمد بن أحمد بن أحمد الشهير بالمحروقى، تقلد وظيفة أبيه بعد وفاته كأمين للضريخانة المصرية، ثم تقلد بعد ذلك منصب شاه بندر التجار شأنه فى ذلك شأن أبيه وذلك فى سنة ثمان وعشرين ومائتين وألف (١٢٢٨هـ/ ١٨١٣م)، وصار من أرباب الحل

---

(١) عن ذلك انظر: جيرار دى نرفال: المرجع السابق، جـ٣، ص ٢٦٥.

(٢) اتخذت القبة فى المنازل كرمز للسماء، عن ذلك، انظر : توفيق عبد الجواد: تاريخ العمارة والفنون الإسلامية، جـ٣، ص ١٩٩.

(3) Revault (J) , et Maury (B), op. Cit. Fig, 27,28.

والعقد مثل أبيه[1].

ومن منشآته: الدار العظيمة التى شيدها ببركة الرطلى، والدار التى اشترها من الأمير على أغا يحيى والسابق وصفها، وجعل بها ساباطا يصل من عليه إلى دار أبيه التى كانت تقابلها (محل دكة الحسبة)[2] حيث خصها بالحريم، فصارت داره تخص إقامته وضيوفه، ودار أبيه تخص الحريم.

وقد هدم الحاج محمد المحروقى دار على أغا وشيدها بتخطيط جديد، كما أشارت إلى ذلك وثيقة الوقف[3]، وعرفت هذه الدار، والمقابلة لها بدارى المحروقى، وقد مات الحاج محمد المحروقى بعد سنة (١٢٤١هـ/ ١٨٢٥م) بعد أيام من مرضه.

الوصف المعمارى : (انظر المسقط الأفقى التصورى، ش ٦٦)

يحتفظ هذا المنزل بواجهته الرئيسية التى تجاور الجامع المعروف بابن العربى. (ش ٦١) (لوحات ٦٨ ،٦٩ ،٧٠ ،٧١).

ويبلغ ارتفاع هذه الواجهة (١٢م) وعرضها (٦٠ ,٩م) يتوسط هذه الواجهة المدخل وهو من المداخل المقنطرة[4] (ش ٦١) بعقد موتور مزدان بمقرنصات قليلة العمق فى ثلاثة صفوف يحدد هذا العقد وكوشتيه جفت لاعب يبدأ من أسفل العقد بشكل نجمتين خماسيتين، ثم يسير الجفت مكونا أشكال سداسية، أما كوشتيه فقد شغلت بزخارف نباتية محفورة على الحجر، ينتهى هذا العقد بمبمة مفتاحية تكونت من التقاء الجفت مع التفاريز الحجرى الذى يعلو العقد، وهى ميمة كبيرة يخرج منها أربع ميمات ويتوسطها زخرفة منحوتة فى الحجر تمثل شكل مروحى. (ش ٦٤، لوحة ٧٠).

يعلو هذا التفريز الحجرى زخرفة نباتية منفذة على الحجر بحيث تبدو بارزة تمثل اشكال قواقع وفروع نباتية ومراوح نخيلية، وهذا الشكل محاط بشكل هندسى على هيئة رقعة الشطرنج، أسفل كل ركن منها زخرفة يطلق عليها اسم النهود التى حفر عليها بالبارز ما يشبه المراوح. (ش ٦٣، لوحة ٧٠).

---

(١) الجبرتى : المصدر السابق، جـ٢، ص ٣٢٦ .

(٢) الجبرتى : المصدر نفسه، جـ٢، ص ٣٢٦.

(٣) محمد المحروقى، وثيقة وقف ٩٠٢/ وزارة الأوقاف، مؤرخة ١٨ صفر (١٢٤١هـ/ ١٨٢٥م)، سطر ٢٠.

(٤) الوثيقة، سطر ٢٤.

ويغلق على المدخل فردة باب خشب نقى مدهون بالألوان المختلفة ضاعت معالمه الآن، وفتحة الباب عرضها (١٠ ,٢م)، وارتفاعها حاليا (٤٠ ,٢م)، وضعت هذه الفتحة داخل ممر اتساعه (٥٠ ,٣م) وعمقه (٨٠سم) ينتهى هذا الحجر من أعلاه بعقد كثير العقود[١] مقصص (مغربى)، ارتفاعه (٢٠ ,٥م)، واتساعه (٥٠ ,٣م) يؤطره جفت لاعب ينتهى إلى مافبل أرضية الواجهة بمقدار (٢٠سم)، ويخرج من هذا الجفت على يمين ويسار العقد المغربى حشوة حجرية يحدوها جفت لاعب ويتوسطها دائرة يتوسطها زخرفة شعاعية بالحفر البارز ويبلغ عرض كل حشوة (٥٠ ,١م). (انظر ش ٦٥، لوحة ٦٩) .

يعلو المدخل نافذة بارزة يغشيها ساتر من الخشب تنتهى برفرف خشبى، ولها أرضية خشبية يزخرفها من أسفل زخارف هندسية مكونة من أطباق نجمية متكررة، ويرجح أنها كانت مطعمة بالسن والزرنشان نظرا لعمق وحدات الطبق النجمى. (انظر ش ٦٢، لوحة ٧١). يعلو هذه المشربية نافذة مستطيلة مقسمة إلى أربع نوافذ مستطيلة عليها أرماح حديدية ارتفاع كل نافذة (٥٠ ,١م)، وعرضها (٩٠سم)، أما المشربية فيبلغ ارتفاعها (٤م)، وعرضها (٨٠سم).

يؤدى هذا المدخل إلى دركاة كانت تشتمل على مسطبة خصصت لجلوس البواب، وباب يؤدى إلى حوش كشف سماوى مبنى داير جهاته الأربع بالحجر الفص النحيت الجديد الأحمر، شأنه فى ذلك شأن الواجهة، وزعت حول هذا الحوش وحدات الدار حيث كان يقع بالجهة اليمنى تختبوش[٢] مركب على عمود من الرخام يقابلة تختبوش آخر له رواشن خشبية تطل على الحوش. وقد اشتمل الحوش على بعض المرافق مثل: الطاحونة والاسطبل والحواصل وحجرة سبيل مصاصة وجنينة وكراسى راحة وبئر ماء. وقد اشتمل التختبوش الأيمن على إيوان واحد ودور قاعة كان يتوسطها فسقية مفروش أرضها بالرخام الملون.

كذلك اشتملت الدور قاعة على بابين من الأول كان يدخل إلى خزنة ومن الثانى إلى دهليز اشتمل على كرسى راحة بمنور ساقط وسلم يؤدى إلى مساكن الحريم.

وبالجهة المقابلة قاعة كبرى تجاور التختبوش الثانى تحوى إيوانين ودور قاعة لها واجهتان من الخشب الخرط، أحداهما تطل على الحوش، والثانية تطل على التختبوش. وقد كان

---

(١) محمود خليل نايل، محمد أمين عبد القادر: تاريخ فن العمارة، جـ١، ص ١٠٦، ١٠٧.

يعلو كل تختبوش مقعد يطل على الحوش، ويفتح عليه بواجهة معقودة فى العادة، كذلك ضم الحوش سلالم تؤدى إلى مقر الحريم التى اشتملت على ثلاث قاعات صغيرة أحداها مطلة على جنينة المنزل وهى تعلو المقعد أى فى الطابق الثالث، والإثنتين الأخريين كانتا تعلوان القاعتين اللتين بالحوش، وقد ضمت أماكن الحريم بعض الملحقات مثل الأروقة والحواصل (أودكلار) والحمامات التى تكونت من بيت أول وبيت حرارة، وغطيت بالقباب واشتملت على بزابيز من النحاس تمد المستحم باحتياجاته من المياه الباردة والساخنة، وضمت أيضاً مطبخاً لتجهيز الطعام بجوار الحمام[1].

وقد فرشت أرضيات معظم هذه الوحدات بالرخام الملون والأبيض، وعلى الرغم من تخصيص منزل والد المنشئ للحريم إلا أن هذا الطابق قد خصص أيضاً لهذا الغرض، فى حالة خلو الدار من الغرباء (ضيوف المنشئ).

وقد درست معالم هذه الدار وشغلها الآن مصنع لتجارة وتصنيع الأقمشة (مصنع نهضة مصر). (الخريطة ش١٠).

ومما سبق نلحظ أن المنشئ قد هدم الدار الخاصة بالأمير على أغا يحيى هدماً كلياً وتغير معه تخطيط الدار تغييراً شاملاً وعلى الرغم من أن دار على أغا السابق وصفها شيدها فى سنة (١٢٠٥هـ/ ١٧٩٠م)، واستمرت هكذا إلى أن اشتراها الحاج محمد المحروقى. (أى استمر ما يقرب من ٣٥ سنة فقط) إلا أنه هدمها على الرغم من فخامة مبانيها وتخطيطها.

ولعل السبب فى ذلك راجع إلى شراؤه لأربع قطع كانت تجاور الدار[2]، ومن ثم عمل على إضافتهم إلى مساحتها مما دعا إلى هدم الدار والاستعانة بما أخرجته من أنقاض فى تشييد الدار بتخطيط جديد.

التحليل المعمارى

اشتمل هذا التخطيط على قاعات استقبال بالطابق الأرضى عرفت بالتختبوش، ومقاعد علوية يعلوها قاعات إقامة للحريم. بجانب بعض المرافق والملاحق الخدمية، وهذا التكوين يتشابه مع تخطيط كل من منزل السحيمى بالدرب الأصفر الذى اشتمل على تختبوش يطل

---

(١) الوثيقة السابقة، من سطر ٢٤-٣٤.

(٢) الوثيقة السابقة، سطر ١٩.

على الصحن، ومندرة مواجهة تطل أيضاً على الصحن، ومندرة جانبية أخرى تطل على الصحن، ومندرة أخرى تجاور التختبوش، وهذه المناظر الثلاثة تمتاز بحجمها الصغير، أما المندرة التى بالجهة الشمالية الغربية فتمتاز بكبر حجمها، ويتوسط دركاتها الفسقية، وهذه القاعات المخصصة للاستقبال يعلوها قاعات أخرى سكنية ووحدات خدمية[1]، كذلك نرى ذلك فى المسافر خانة، والذى يتضمن تخطيطها الأرضى مندرة للاستقبال تشرف على صالة وكذلك على الجنينة، كما يتضمن على تختبوش يطل على الصحن ويتصل بالمندرة، وبجانب ذلك اشتمل التخطيط على قاعة سكنية. وبعض الحجرات والوحدات الخدمية[2]، بما يتفق وتخطيط الدار الخاصة بالحاج محمد المحروقى، أما الطابق الثانى فقد اشتمل على قاعات للسكنى وحمام خاص بأهل الدار مثل الدار السابقة.

ومما سبق يمكن الخروج بهذه النتائج:

١) اشتملت الأحياء موضوع الكتاب على العديد من أنماط المنازل المخصصة لسكنى الأمراء وغيرهم.

٢) افتقدت بعض أنماط المنازل لعنصر الصحن الذى تدور حوله معظم عناصر الدار التخطيطية، كما افتقدت بعضها لعنصر المدخل المنكسر واستعاض عن ذلك بإيجاد نوافذ مفتوحة مغطاه بستائر خشبية تشرف على الطريق، وكذلك بوضع سلم يلى دركاة الدخول يؤدى إلى وحدات الدار التى تلى السلم.

٣) اشتملت عمارة بيبرس الخياط السكنية على قصر مخصص لإقامة الحريم فى مواجهة قصر بيبرس المخصص لاستقبالاته.

٤) ضم قصر الحريم عنصر المقعد الذى يطل على مجاز يلى دركاة المدخل، وليس على الحوش كما فى معظم العمارة السكنية المملوكية والتى منها قصر بيبرس نفسه المواجه لقصر الحريم.

٥) ظهرت على دار محمد المحروقى بعض التأثيرات المغربية المتمثلة فى العقد كثير النصوص الذى يتوج مدخل الباب المؤدى إلى الدار، ولعل السبب وراء ذلك راجع إلى تأثر الحاج محمد المحروقى فى ذلك بدار والده المواجهة لداره، والتى آلت إلى أبيه بعد وفاة الحاج

(1) Revault (J), Et Maury (B), Op.cit, Fig 27, 28.
(2) Ibid. Fig, 36, 37.

أحمد بن عبد السلام المغربى مشيد الجامع المواجه لدار أحمد المحروقى، ومن ثم ظهرت بعض التأثيرات المغربية فى الجامع المعروف بابن العربى ومنزل المحروقى الصغير (محمد المحروقى)، بالإضافة إلى ذلك فإن التواجد المغربى داخل الجوذرية كان كبيراً مما يعزى إليه ظهور هـذه التأثيرات.

** ** ** **